الغد لنا

ان وعي الشعوب العربية لا يكتمل الا بعد ان تكتمل حلقة البعث والنضج في نفوس الشباب العربي المختار. واما نهوض العرب الاجتماعي القريب فهو امر لا ريب في حدوثه، لكونه نتيجة محتمة لبذور الوعي والنضج الفاعلة فعلها باستمرار وازدياد في نفوس الاقوياء من ابناء الجيل العربي الجديد.

وان نهضة الشعوب تتحقق غالباً بظواهرها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بعد ان يتسنى لهذه الشعوب القادة المبدعون الذين ينهضون قبل ان تنهض شعوبهم، فتتحول نهضتهم هذه الى عاصفة تحرك القيم في النفوس، وتبدع وتُخلق بفعل مقوماتها الروحية والعقلية المتفاعلة.

اذن فنحن الآن في الفترة الاولى من نهضتنا، اي فترة بعث الشباب وخلقهم الذاتي «وسن الشباب هي اسبق مراحل الحياة في مضمار الابداع والحيوية والبطولة». واما المرحلة الثانية التي نقف على ابوابها، فهي فترة تحول الشباب، بعد خلقهم انفسهم، الى قادة مبدعين، يخلقون الامة ويبعثونها ويحيونها مجدداً.

وما يجعلنا نؤمن في واقع هذا البعث في مرحلته الاولى هو مدى الحيوية والمناعة المتمنطقتين والناشئتين في نفوس ابناء الجيل العربي الجديد، هؤلاء الشباب الذين صمدوا في وجه اقسى المحن والملمات وتغلب نشوؤهم على عوامل الفناء والاندثار. لقد كتب لهذا الجيل ان ينتصر على ظروف امته الخانقة الناجمة عن الانحطاط الطويل الذي عقب انهيار الامبراطورية العربية وما تبع هذا الانهيار من جهل وتفسخ وفقر.

وما يجعلنا نؤمن بتحقيق المرحلة الثانية في نهضة الشعوب العربية جمعاء يستند الى سببين منطقيين: الاول، هو ان الشعوب العربية تكون الهدف المباشر الذي تتجه اليه رسالة النخبة الناهضة من الشباب العربي المثقف، اذ انه لا يمكننا ادراك حيوية ايجابية فعالة دون مجال او هدف تتحقق بها. والثاني، هو ان التاريخ اثبت لنا ان الشعوب العربية هي اسبق شعوب العالم على تقبل الحياة وابداع الحضارات كلما تسنت لها الدوافع الخلاقة لاظهار حيويتها وتمثيل دورها الهام في تقدم الفكر وانتصار القيم الانسانية العامة.

وهكذا يتضح لنا على ضوء العلم والمنطق التاريخي، ان الامة العربية على اهبة ولادة جديدة، ستتمكن بواسطتها من اظهار ميزاتها العريقة في الخلق والتفوق، ومن انماء القيم الروحية في نفوس ابنائها، تلك القيم التي كانت ولا تزال دائماً المبعث الرئيسي والدافع الفعال الى نشوء الثقافات وتطور الحضارات على اختلافها.

فعلى الشباب العربي المثقف، المؤمن بصدق رسالته وواقعيتها وبخصب تراثه الثقافي وحيويته، ان يتابع مهمته الابداعية الخطيرة بتهيئته نفسه لايقاظ امته وانتشالها من واقعها المثقل بالظلم والجهل والانحطاط. وعليه الا تبهره المدنية الحالية بظواهرها الآلية والمادية الوهاجة، فاننا اذا امعنا النظر في مقوماتها وجدنا انها تتفرغ بسرعة متزائدة من القيم والمضمونات الروحية، التي كانت منذ قرون قليلة خلت، الدافع الخلاق الاوحد الى ظهور هذه المدنية الى حيز التفاعل والوجود.

فعلى الشعوب العربية ان تتفاءل وتؤمن انها بفضل وعي شبابها وثقافتهم الجديدة ونضالهم الانعتاقي الخلاق، مقبلة دون ريب على بعث ثان عنيف، من شأنه ان يرفع عنها كابوس الظلم والفقر والانحطاط، وان يؤمن للانسانية جمعاء استمرار الفكر المبدع، العامل خلال التاريخ بواسطة الحضارة السابقة واللاحقة، على نصرة القيم الروحية الخالدة وتحقيق الوحدة العالمية المنشودة.

كراكس - فنزويلا معهد الفلسفة والادب

منوال يونس

من أيام الرعب

الحذاء

بقلم يوسف الشاروني

قصة

ليس يدري مأمون الى اي حد هو يشابه الناس في مشاعرهم، وهل تراهم يتعلقون مثله بألم قد يطول، او تراهم ينسون، وفي كل فجر يجددون حياتهم ويمضون! انه ليلقاهم في الطرق والترامات والسيارات، فيجدهم يتحدثون ويبسمون، وينظر الى نفسه فاذا هو كذلك يتحدث ويبسم، فيتساءل عما اذا لم يكن وراء احاديثهم وبسماتهم ثمة مرارة تهجع في ركن قصي من قلوبهم. كلما اقبل الليل وخلوا الى انفسهم، تداعى نشاط النهار الذي كان يستمد تماسكه من وجود الناس معاً، وفتحت امامهم ثغرة يطلون منها على ما انزوى في اعماقهم، فبدت امامهم مدينة يعرفون جيداً طرقها ومسالكها، ازقتها المتربة المهملة وقصورها الفخمة المشيدة، فيتمشون بين قصورها وابهائها وهم يغلقون اجفانهم وينطوون على انفسهم... حتى اذا انبلج الصبح عادوا يرتدون ثيابهم ويرتدون معها احاديثهم وبسماتهم.

ولشد ما طرب حين نقل ذات يوم الى ديوان بوزارة المالية ليعمل بين بضعة مكاتب تضم خليطاً من الكهول والشباب، ذلك ان روح الفكاهة كانت تسيطر عليهم جميعاً، وعملهم ـ الذي يبدو انه من اهم اعمال الدولة واخطرها ـ لم يمنعهم من ان يتلهوا ساخرين بسرد آخر حوادثهم الجنسية والعاطفية على اعضاء مجتمعهم الصغير، فالكهول يتحدثون عن الطريقة التي بها ضاجعوا ازواجاتهم ليلة الامس، والشباب يقصون فضائحهم التي يرتكبونها مع فضليات النساء. وهو يتسمع احاديثهم ويلتقط معانيها وتورياتها اثناء تحركه بينهم، يحمل اليهم القهوة او ينقل الاوراق بينهم. ولقد كان خجلا ان يصغي الى مثل هذه الاحاديث في اول الامر، فالناس علموه ان يصمت عن هذه الامور امام الغرباء على الاقل، لكنه ما لبث ان احب هذا النوع من الصراحة والوضوح والتهكم. ومع ذلك فاحيانا ما كانت تساوره ريبة عما اذا لم تكن هذه الاحاديث والضحكات والنكات تخفي وراءها شيئاً مريراً وفظيعاً حقاً قابعاً في كل نفس من نفوسهم.

ذلك ان لكل انسان ـ مثلما له ولك ولي ـ سر كبير، شائع في الروح، منساب في حنايا النفس صامت مسيطر ممزق ونحن به معتزون، انه وجودنا الحقيقي المستقل. فكل ما نبوح به للاخرين لا يعود ملكنا الخاص بل يصبح خيوطاً عنكبوتية تربطنا بهم، اما البله فهو سر، اما الجنون فهو سر، وهو يحس في نفسه ذلك المكان الابله، ذلك الجنون المرير المغلق على نفسه، يحدث الآخرين عنه، لكنه يهذي به ولا يبوح، لانه لا منطق له ولا مدلول، وايام العمر تنزلق، وهذا السر ينساب بينها خيطاً رقيقاً مرهفاً لينسج حياة كاملة تشارك في تراث جندي مجهول.

انه يعمل ويحصل على اجره ويبسم فيبسمون، ويغضب فيعبسون فكل ما هو عريان امام الناس يلقى جزاءه، اما هذا السر فهو دائماً مكان ابله، هو جنون مرير، وهو وحده وجوده الحقيقي الخالص. وهو شديد الشبه بذلك الالم في قدميه، انه وثيق الصلة بذلك الحذاء العتيق الضيق الذي لا تكاد تتمتع فيه قدماه الضخمتان بحرية، وهو وثيق الصلة بذلك العرق

والعفن واللزوجة التي يحسها في قدميه كلما خطا خطوة اوحاول ان يقفز قفزة .

ويوم اضرب الطلبة واضرب العمال وسارت المظاهرات وهتفت الجماهير وقتل ثلاثة منهم في الميدان الكبير ، كان قد اصلح حذاءه للمرة الخامسة ، ثم مضى يحمل الاوراق ويرفع الاقداح ، وسمعهم يتحدثون ويتفكهون ، وهو يصعد ويهبط ويهبط ويصعد ، شاعراً ان العمل المنوط به مرهق وعبث ، وان قدراته تؤهله لوضع آخر لا يستطيع ان يدركه ادراكاً واضحاً ، لكنه يستثمره كلما وجد انه لا يزال في الثانية والعشرين ، وانه قادر على ان يشتهي كل امرأة ، وان قوة جبارة مدمرة تكمن في دمائه وجسده وتمتد الى اطرافه ، وكان يبحث عن اشياء يتحداها ، لكن رقة الناس وظرفهم وتجاهلهم المؤدب لطاقاته واحلامه لم تكن الا لتطمس كل تفتح يضطرم في اعماقه ، فيحس بلون من الشيخوخة يغمره حتى ينزعج . ويزداد انزعاجاً كلما ادرك انه ربط الى عجلة لا فكاك له منها وكل عام يمر ، بل كل يوم وكل لحظة يحياها تزيده ارتباطاً بهذه العجلة ، وتفقده كل امل في التحرك والصعود فهو يزداد تقيداً بهذا النوع من العمل ويزداد غربة عن كل مقدرة اخرى .

ويوم هدد المهندسون بالاضراب كان ذاهباً يصلحه للمرة السادسة .

ويوم اضرب عمال التلغراف ـ وهو لم يستعمل التلغراف في حياته ـ كان قد اصلحه للمرة السابعة وقد بدأ يخاف نفسه ، ويخشى ما يزدحم فيها من قوى الكآبة والشهوة . بدأ يحس انه مدفوع نحو جريمة ، جريمة فظيعة ومجهولة ، لا يعرف اين تقع ولا متى تقع ، لكنه يملك اسبابها في بدنه وشعوره ، وكلما تقدمت به الايام اصبح اكثر اقتراباً منها ، فكل دقيقة وكل لحظة يحياها ، تدفعه دفعاً نحوها . واذا لم يستطع التحرك في وضح النهار فليتحرك اذن تحت ستار الظلمة ويضرب في العماء المتسع الكبير . ربما سيمر مخموراً ذات ليلة عند منعطف الطريق الى منزله ليضرب رأس الشرطي الواقف هناك ابداً كانه فكرة مجنونة تعاوده ولا تريد الابتعاد عنه ، او ربما سيمر ذات ليلة تخفى منها قمرها ليسرق شيئاً ما ينشره هؤلاء القوم في شرفتهم المنخفضة كل مساء ، او لعله سيكتشف ثأراً قديماً او يبرز له عدو او غريم .

وطردوا اخاه من المصنع . واغتيل احد الكبراء . وانتشر وباء في المدينة ، واصلح حذاءه للمرة التاسعة وجريمته التي يخشاها قد اخذت تتحدد فيما يبدو له . فقد اصبح يخشى اشد الخشية ان يرتكب ذات يوم فضيحة اخلاقية ، لان ثياب النساء اخذت تفقد من ذهنه حقيقتها ووجودها فوق اجسادهن ، فهو في حلم يقظته ما يلبث ان يجرد المرأة الواقفة امامه او الجالسة الى جانبه ، وهو ينظر في عينيها ، ينظر اليهما في احتياج مرير ، ولا يتبقى بينه وبين الفعل الا رعشة مجنونة حمقاء ، ثم يلمح حذاءه العتيق الضخم ممتداً امامه كانه تحذير او نذير ، فيتضاءل وينتابه مزيج من الخجل والحياء والخوف ، الخوف دائماً من شيء فظيع ومجهول ، ولا يلبث ان يتحرك في شبه معجزة بعيداً عنها كانه شيخ مسن تأنفه العذارى . ومع ذلك فقد كان يتلمس وسط هذا الخليط الحي القاسي ـ وفي عيني جارته خضراء ـ خيطاً مرهفاً من طلائع خلاص سعيد يستشعره ولا يكاد يتبينه ، كانه شعاع ناعم من النور ضل عنه وسط هذه الظلمة .

ثم اضرب ستة وعشرون الف عامل من عمال المحلة الكبرى ، وانتشر الوباء الاصفر ، واضرب المدرسون والطلبة والطالبات ومرضت امه ، واغلقت الجامعات وحوصرت ، وصودرت الصحف وصودرت الاجتماعات وصودرت الصحف والصحف والصحف ، وانتحر اخوه وهو ذاهب يصلح حذاءه للمرة العاشرة . وكان عليه ان يسير ويسير ويسير في طرقات المدينة وازقتها ، مشتعلا مع القيظ ، مختنقا في ملابسه . مجنونا مع السر الكبير الشائع في كل مكان ... سار بحذائه في الشوارع المتسعة الكبيرة ، وفي الازقة الرطبة المختنقة على الارض المحترقة في وهج الشمس ، وفي الوحل المزدحم عند المنعطفات والزوايا . داس به قاذورات الناس واعقاب السجائر والحشرات الهائمة المطمئنة ، وصعد به الدرج والترامات والسيارات ، ورأى ـ وهو يضغط قدميه ـ الفتيات والنساء والنساء والفتيات ، ثم وكل به كلباً وكلباً ثم الطوب والطوب والطوب المنتشر في كل مكان وعلى كل ارض ، وكان قد بدأ يشرف على تبين عاطفته نحو خضراء ، وبدأ يحس بحاجته الى حذاء جديد عندما رأى شهوته هنا يمازجها شيء غامض وجميل وسعيد ، عندما ادرك انه احب امرأة بالذات ، قد استنشق من عطرها العنيف وغرق في عينيها الواسعتين ولمح خطوط جسدها المنحنية خلف ثوبها الاحمر ... فمضى يتعرف من خلف واجهات المحال على عالم الاحذية بانواعها

نشوة

*

ما لي اذا اقبلت يا ليلى دمي يشتعل
احس كل رغبة فيَّ فما يقبل
سكران للنشوة في جسمي خطا وارجل
سكران ، هاتي الثغر يا ليلى نعب ، تنهل
نغيب.. ملء الصدر تصفيق وحب اول !

***

سكرت ؟ جفن ذابل وخاطر مسترسل
وحار في وجنتك الورد ورف الخجل
سكرت ؟ سحر المعيش لذات وقلب جذل
لا تسأليني عن صباباتي انا لا اسأل
بلمت فافتن غرامي ، واحتواني الثمل
فالشوق في روحي يد وانمل تغلغل
وانت غب البوح في فكري غد مؤمل

***

سكرت؟لنا كمل..في عينيك شيء يكمل!!

احمد ابو سعد
من اسرة الجبل الملهم

وحجومها ، شاهد الاحذية البيضاء والصفراء ، والبيضاء والحمراء ، والحمراء والسوداء ، احذية الاطفال واحذية الكبار ، احذية الصيف واحذية الشتاء ، احذية السيدات لاقدام السيدات واحذية الرجال لاقدام الرجال . كلها مزركشة وجديدة ومتينة وكثيرة خلف الزجاج ، الزجاج والبلور والحرمان . ثم الحفاة والحفاة لا عدد لهم ولا حصر ، يدوسون في وحل الشتاء وقيظ الصيف وهم يمضون ويمضون ، نحو غايات مجهولة وحاجات مسلوبة ومآرب لا تبتدىء ولا تنتهي .

وفجأة اضرب البوليس ، واحتل الجيش مكانه ، وخلت الطرق من الترامات والسيارات ، وانتشرت الخوذات النحاسية والازرار الصفراء والوهج والحرمان والمدافع والبنادق والشحاذون والضيق والخوف والعصي . وهو ذاهب يصلح حذاءه للمرة الحادية عشرة .

وكان الاسكافي رجلا في الخامسة والخمسين ، في لحيته – النامية قليلا – شعرات سوداء واخرى بيضاء ، امضى في انحناءته هذه اربعين عاماً ، منذ كان صبياً في الخامسة عشرة وهو ينظف الاحذية ، ثم يرقعها ويرقعها ويرقعها الى الابد . ولم يكن قد سئم الترقيع يوماً ، فهو يكتسب منه اكثر مما يكتسب من صنع احذية جديدة . فهذه الحرب وهذا الغلاء والضنك الذي يحيا فيه هؤلاء لا يجعلهم يفكرون في عمل احذية جديدة . بل دائماً يريدون ان يرقعوا القديم ، ان يصلحوه عساه يستمر شهراً او شهرين ، ثم يعودون من جديد ، ليضع رقعة هنا او رقعة هناك . وما كان في مقدور الاسكافي ان يسأم الترقيع ما دام الناس قد اجبروه على ان يكون هذا هو عمل حياته . وهم يرقعون كل شيء : احذيتهم وملابسهم ونظام حياتهم عسى ان يظل كل شيء كما هو حتى اللحظة المقبلة ، مدركاً ان كل فتق يأتونه به هو تضخم لرتق قديم ، وكل رتق جديد هو طلائع فتق اخطر مقبل ، ولكن الامر الخطير هو ان حذاء مأمون قد بلي تماماً وتمزق بحيث لم يعد يحتمل الرتق ولا الترقيع ، وقد اشرف على نهايته هذا الجهد المستمر اليائس للوصول الى خير ما يمكن ان يكون لحذائه هذا .

وكان دكانه لا يزال كما هو مضطرباً تشيع فيه الفوضى ، وتنتشر فيه احذية الناس ونعالهم وقباقيبهم والمسامير ورائحة الجلد المنقوع في الماء ، وغلالة من التراب تستر هذه الفوضى جميعها وتشيع بينها نوعاً من الترابط والتآزر المفجع الكئيب ، والاسكافي يطرق شيئاً بين يديه ، ثم ينظر نحو مأمون في اهمال . وآلمه ان يرى الاسكافي يحتقره . وحز في نفسه ان يحييه فلا يرد عليه ، بل يزعق في الصبي يريد المخرز ، وتلفت ثم تردد ثم جلس على المقعد الوحيد المنخفض المتكسر بالمكان ، وثمة عجز ثقيل يسيطر عليه ، وقوى الواقع تسلبه كل حق في التكلم او الاحتجاج .

وقلبه بين يديه في استنكار ، ثم رفض فرجاه ، لكنه رفض فألح عليه ، ثم زعق الواحد فزعق الآخر وهز الاسكافي يديه ومد مأمون عينيه ثم رجاه ورجاه فقلبه وقلبه .

– لا فائدة – بل أرجوك .

– قد لا يجدي – بل ابذل جهدك

– ابذل جهدي ؟ – آخر مرة

– آخر مرة ؟ – نعم آخر مرة .

ورآه يدق مسماراً ويغرز مخرزه ثم يلتقط الابرة وينادي الصبي ويوقد المصباح ويدق سطراً ويغرز مخرزه ويغرز ابرته ويبصق ويتناول خيطاً ثم خيطاً ثم يقطع بسكينته قطعة من الجلد فقطعة أخرى فثالثة فرابعة . ويتناول مسماراً ثم مطرقة . ثم يعود يلقي هذا يميناً وتلك امامه . وينهض وينحني ويجلس ويتمخط ويزعق ثم يبسم ويعطيه الحذاء . واختلفا على الاجر وعبس الواحد وعبس الآخر . ثم قدم مأمون سيجارة وأشعل له الاسكاف سيجارته وابتسما وخرجا .

وفي كل مرة كان مأمون يسترد حذاءه وقد اصبح اكثر غربة عنه . كان يراه قد ازداد هرماً وازداد تسانداً في غير فائدة . الا انه في هذه المرة لم يره قد تغير الى هذا الحد فحسب ، بل أحسه غريباً عنه عندما عاد يضغط فيه قدميه . فقد عبثت به يد الاسكافي حتى اصبح اكثر ضيقاً عن ذي قبل ، وكأنما قدماه اللتان تمتعتا ببعض حريتها اثناء هذه اللحظات قد ازدادتا تضخما ، تضخما ملحوظاً وحقيقياً وموجوداً .

وفي ذلك اليوم اخذت تتضح له هذه الحركة الخفية التي كانت قائمة منذ زمن بعيد بين قدميه والحذاء ، فاحيانا ما كان يحس بالحذاء بعض الضيق وبعض الالم . غير انه قبل ان يشتد الالم ويحس بالضيق واللزوجة والعرق يجد ما ينقذه فيركب الترام أو يكون قد وصل الى حيث يريد . اما في هذا اليوم عندما كان الاضراب سائداً ، والخوذات النحاسية والازرار الصفراء في كل مكان ، فكان عليه ان يسير ، ان يجابه الحقيقة التي طالما اخفاها عن نفسه في ساعات النهار وساعات الليل كان عليه ان يتتبع الالم وهو ينمو شيئاً فشيئاً ، والحذاء وهو يضيق شيئاً فشيئاً ، وقدماه تتضخمان و تتضخمان .

ولقد بدأ الالم اولا في الاصابع الامامية ، لم يكن من الممكن ان يتعرف على واحد منها يتركز فيه الالم ويشيع منه ، فقد كان منتشراً فيها جميعاً ... ثم انتقل فجأة الى عقب القدم اليسرى حيث كأنما ثمة تسلخ أخذ يشيع وينتشر في خفة اولا ثم اصبح فظيعاً ومخيفاً ، وتقلصت عضلات وجهه ، وكانما قدماه تشويان الآن من كل مكان . من الاصابع ومن العقب ومن الجوانب ومن اسفل ومن فوق ، واخذ يعرج قليلا ، وهو يواصل سيره ، يواصله بلا انقطاع حتى لا يعاني الا اقل وقت ممكن من الالم ، وكلما اقترب من المنزل احس ان المسافة لن تنتهي ... والالم يزداد ويزداد كأنه دعابة سمجة لا تحتمل .

وكان النهار قد اشرف على الزوال حين وجد نفسه فجأة في المنزل ، فخلع سريعاً حذاءه وخلع جوربيه وتأمل جوربيه وتأمل قدميه . اما حذاؤه فكان الآن متماسكاً متسانداً قبيحاً ، اما جورباه فالقاهما بعيداً فوق الارض ، فرقدا هناك كأنهما كائنان اسودان متعفنان ، والخروق فيهما كانها احتجاجات قديمة مهملة . اما قدماه فقد اخذت اصابعهما تتحرك جميعها محتكة ببعضها كانها تهامس فيما بينها بشكوى غريبة مؤلمة ، وهي تنفض عنها العرق المتصاعد كرائحة الخل نحو عالم خفي غير مرئي ، كانت لقدميه جغرافية مستقلة بهما شاذة وغريبة ، واصابع كل منها كانها اطراف كثيرة مبعثرة لمسخ مشوه ، وقدماه ضخمتان تستلقيان منهكتين على ارض الغرفة الكبيرة المتسعة تنشدان الحرية والهواء الرطب . كان ثمة شعيرات وثمة تسلخات فوق الاصابع وثمة ألم شائع ثم احمرار مخيف في عقب القدم اليسرى لا يكاد يلمسه حتى يحس بازة مرهقة في الضغط عليها فاخذ يتحسس قدميه في رفق وحنان ، ويمر بانامله عليهما وهو يتأمل ما صارتا اليه .

ثم تلفت نحو الفراش واخذ يزحف يزحف ببطء وانقباض وثمة صوت يدعوه الى الطعام وهو يزحف ويتسلل ويزحف ونفسه تنطوي على نفسه وتماسك النهار يتداعى وحشد من المشاعر يتزاحم ، وثمة مدينة يسودها الاضراب وطلقات البنادق بين حين وآخر والعصي والخوذات والمدافع والازرار واقداح القهوة واوراق الموظفين تصعد وتهبط وتهبط وتصعد والزوجة واخوه انتحر والعفن والاضراب وامه تموت والازقة في الحروب في الوحل في الفتيات في النساء في النساء وحيناً خضراء والشعر الناعم ليلة الزفاف وآخر مرة نعم آخر مرة ومدينته ذات الازقة والمرايا والبلور والزجاج وما خلف الزجاج وبقايا اطرافه ووضوح نبضاته نبضاته نبضاته والدم المزدحم بالصخور ذات العروق القائمة الزرقاء واجفانه تنغلق تنغلق ... والظلام يرخي سدوله ويزحف ويتسرب وينتشر ، وثمة حدث خطير وعظيم ينتظره ولا يخشاه .

القاهرة

يوسف الشاروني

اندريه جيد

الاديب الذي فقدته فرنسا

بقلم سهيل ادريس

أصبح ان كل من قرأ حرفاً لاندريه جيد، استشعر غصة مؤلمة ساعة بلغه نعيه . ان احدنا ليحس الآن بأن الحبل الذي كان يربطه بذلك الجيل من كتاب فرنسا العظام ، قد انقطع بموت هذا الكاتب الفذ. فلعل جيد هو آخر الادباء الذين مثلوا خير تمثيل تيارات الفكر الفرنسي في النصف الاول من القرن العشرين. على ان الذي كان يربط الجيل الجديد بحب اندريه جيد، هو انه مهد الطريق لهؤلاء الادباء الجدد الذين سيحملون راية الادب للنصف الثاني من هذا القرن، من مونترلان الى كامو الى سارتر .

لم يكن « المفكر » هو الذي فعل من جيد كاتباً مبدعاً ووجهاً جذاباً من وجوه الادب الفرنسي الحديث ، وانما كان الفنان المخلص الصادق . وليس ثمة عبقرية من غير اخلاص في الفن . وقد كان من مظاهر هذا الصدق ان شخصية جيد تمتزج امتزاجاً بيناً بنتاجه الادبي ، بل لعل اهمية الشخصية عنده تفوق اهمية النتاج . وليس من العسير ان نتابع حياة جيد وتطور شخصيته ونوازعه في مؤلفاته ، وبوسعنا ـ من هذه الزاوية ـ ان نلحقه بتلك الفئة من الكتاب الذين تنتصر حياتهم على آثارهم ، كجان جاك روسو وشاتوبريان ولامارتين وسواهم ، بخلاف تلك الفئة الثانية من الكتاب الذين تذوب شخصياتهم في هالة الاشخاص الذين خلقوهم كشكسبير وكورني وراسين .

والطابع الواضح الذي طبع حياة جيد ونتاجه جميعاً هو طابع الصراحة. وقد تردى جيد بالاثم وهو يلاحق هذه الصراحة التي لم تتخذ التجارب الناتجة عن الحياة حقلا لها ، وانما توخت تجارب جديدة ، والقت في اعماق الروح الجيدية بذوراً وصفها الكثيرون بانها شيطانية شريرة... وقد اظهرت هذه الصراحة مؤلف «اللااخلاقي» بمظهر البرم القلق الباحث عن الحقيقة وهي ابداً تفلت من بين اصابعه، وآثار جيد الاخيرة توحي الشعور المؤلم بان هذا البحث لم يكن عبثاً فحسب ، وانما انطفأ كذلك ليحل محله جفاف روحي جديد قد يبرره ميل الكاتب ورغبته في ان يلقى الموت وهو على اشد ما يكون من اليأس، اي ان يشفى من حمى الانتظار... وقد حدثني صديق اديب انه اتيح له ان يزور جيد وهو على فراش الموت . فقرأ على وجهه جميع ملامح السكون والطمأنينة : افتكون رغبته قد استجيبت ؟

لقد نشرت بعض الصحف الفرنسية ان اندريه جيد صرح قبل بضعة اشهر من موته بقوله: «ان الخوف من الموت والشيخوخة وكل ما لا يمكن تفاديه إلحاد على ما ارى. واني اود ان اعيد الى الله مهما حدث لي ، روحاً مطمئنة معترفة » . وقد شاء بعض الكتاب ان يجدوا في هذا القول عودة جيد الى الاله الذي كفر به . متغاضين عن جميع بذور ذلك الالحاد المنثور في مؤلفاته !

والواقع ان غريزة الشر كانت حية في نفس جيد ، شأنها في جميع النفوس، ولكنه كره ان يخنقها، بل هو منحها كل الحرية لتنمو وتقوى ، فازداد احساسه بها ، بل قسا ، حتى انه اصبح يؤثر الاثم الصريح ، على الفضيلة الكاذبة او الخفية او المغتصبة

ولكن ما كانت غاية جيد من هذه الصراحة ؟ اما في حياته فلكي يبرر ميولا جنسية شاذة كان يصارح بها دون ما تردد ، واما في آثاره ، فيوضحها فرانسوا مورياك بقوله : « ان جيد قد الزم نفسه طوال حياته بالدفاع عن قضية ، هي قضية نوع معين من انواع الحب ، لم يكن همه ان يلتمس له المعاذير فحسب ، وانما ان يجعله كذلك مشروعاً... وهذا مظهر من مظاهر نزعته بان يقطع كل صلة بقانون الاخلاق المسيحي كما تدعو اليه الكنيسة. والجديد العجيب في شان هذا الكاتب هو انه جرؤ على ان يجعل من الخير شراً ، ومن الشر خيراً ، وان يقلب بكل هدوء وراحة بال محكمة الضمير ، هذه التي تجرم كل الآثام !.. »



والحق انه ليس بوسع احد ان يدافع عن اندريه جيد في هذه الساحة. فالاجماع قائم على ان نتاجه ، ان لم يكن يعلم

الكفر والالحاد فانه يعلم الايمان ، وان لم يكن يدعو الى الرذيلة فانه لا يجمل الفضيلة ... وفي صفحات كثيرة من هذا النتاج ميل واضح الى الافساد، وكره شديد للادب الذي يدعو الى الاخلاق النبيلة والعواطف السامية ، وحرص على الا يتصنع الانسان رفعة ليست فيه ، وان يفسح لكل رغباته - مهما فسدت - مجال الحياة والنمو . ولعل هذه المفارقات هي التي تجعل الناس يهتمون بشخصية جيد الجذابة ، ويسائلونها عن سرها .. وحتى الآن، والى امد بعيد ، سيظلون يسألون هذا الصامت الذي لا يجيب ، لأنه قد لا يدري هو نفسه بم يجيب ! وهكذا تظل حياة جيد وآثاره غارقة في جو من الغموض اللذيذ الذي يخيل للانسان انه يود ان يقول شيئاً !

ومهما يكن من امر ، فان اندريه جيد كان مؤمناً ان هناك حقيقة ، ولعل عدم اهتدائه لهذه الحقيقة خلق في نفسه هذه النزعه اللاواعية للابتعاد الدائم عن ما « يظن » او ما « يعتقد » انه موجود ، لصالح ما هو موجود فعلا . ومن ثم كانت نزعته سلبية ، وكان رد الفعل لديه نفوراً ومعارضة في وجه الحياة . والواقع انه في جميع كتبه دون ما استثناء « ينفر » من شيء ما : ففي دفاتر « اندريه والتر » نفور من اللاخلاق في مذهب « كالفان » التي هي في رأيه مخالفة للحياة ، وفي الاغذية الارضية نفور من وجهة النظر الفكرية المجردة . وفي « الاخلاقي » نفور من الاخلاق . وفي « الباب الضيق » نفور من التفكير المسيحي المبشر بالتضحية والايثار . وفي Numquid et tu نفور من العقائد الكنسية . وفي « مزيفو النقود » نفور من الوهم الاخلاقي الذي يخلقه الانسان لنفسه ، وفي « العودة من جمهوريات الاتحاد السوفياتي » نفور من النظام السوفياتي الخ ... نزعة سلبية دائماً ونقض لفكرة او وضع يود ان يحاربه .

ولئن اختلف النقاد في الحكم على مغزى انتاج اندريه جيد، فهم مجمعون على ان قيمة هذا الانتاج ترتفع الى اعلى الدرجات . فقد كان جيد صاحب مدرسة كبرى في النقد وفي القصة ، وكتبه النقدية « ذرائع » و « ذرائع جديدة » و « دستويفسكي » وسواها ، ومقالاته في « المجلة الفرنسية الجديدة » ومراسلاته مع بول كلوديل وجامس وسواهما ، تجعل منه في حقل النقد « موقظاً » شارك مشاركة فعالة في اكتشاف الوان من الفن والفكر كان يصعب على معاصريه ان يسيغوها ويستغلوها من غير معونته . وقد كان من مزاياه الكبرى ان ثقافته متوازنة . فهو لم يكن فحسب مصدراً لأحدث اشكال الفن الادبي ، وإنما كان كذلك مصدراً لنتاج ممتاز استقي معينه من الماضي القديم ، واخرج منه بذور الابداع والجمال .

بيد ان وجه جيد العبقري يظهر مشعاً باهراً في آثاره القصصية ، في مذكراته الاوتوبيوغرافية وفي رواياته : في « اذ لم يمت الحب ... » ، و « الاغذية الارضية الجديدة » و « الاخلاقي » و « الباب الضيق » و « السمفونية الريفية » و « مدرسة الزوجات » و « روبير » و « جنفياف » . اما اعظم رواياته ، فهي لا ريب « مزيفو النقود » التي تعتبر ثورة في فن كتابة القصة ، وقطعة نابضة بالحياة والحب والقلق والشكوك والريب . والحبكة القصصية في هذه الرواية ، على غاية من القوة وشدة الاسر .. انها « قصة القصص » كما قال هنري هرتز ، وهي ليست فقط رواية الحقيقة وانما كذلك رواية الممكنات ، ورواية الفتوة النابضة الساعية الى خيرها وشرها ، الرواية التي لا تنتهي باية خاتمة ، لان الحياة نفسها لا خاتمة لها ، حتى ولو كانت هذه الخاتمة الموت .

وبعد فاحسب الحديث عن مؤلفات جيد لا يمكن ان يساق على هذا الشكل الخاطف ، فكل كتاب من كتبه جدير بان يدرس ويستوعب وينقد نقداً عميقاً . وهذه الكلمة التي اكتبها اليوم عن جيد ليست الا وحي ساعة من هذه الساعات التي اعقبت موت هذا الكاتب الكبير ، والتي يختلط فيها التقدير بالعاطفة ، فيمتنع فيها الدرس الدقيق والنقد الصحيح .

وان احدنا ليتساءل ، بعد ان غاب هذا الوجه العظيم ، اية خسارة اصابت الادب الحديث ؟ يقول الناقد الفرنسي المعروف روبير كامب رداً على هذا التساؤل : لنقس الفراغ الكبير الذي تركه جيد بانقطاع خصوماته مع انداده ، والمعارك القلمية التي اثارها ، والميدان الواسع الذي تركه بعد ان ملأ مجالا كبيراً منه بفنه وادبه ... ان وجه فرنسا الفكري لجدير بان يتغير باختفاء هذا القلم ... واي فقر في ادبها بعده !

ان اي تحفظ واي نقد لا يمكن ان يضائلا من قيمة اندريه جيد . فقد كان شخصاً عظيماً ، هذا الذي غادر اليوم مسرح الدنيا !

باريس **سهيل ادريس**

جميل صدقى الزهاوى

بقلم حمدى الحسينى

جميل صدقي الزهاوي رحمه الله شاعر عربي كبير نشأ في بغداد واشتغل فيها بالصحافة والتعليم ، وقد اصابه وهو في الخامسة والعشرين من سني حياته مرض عضال في نخاعه الشوكي لازمه طول حياته ، وقد زار الاستانة في عهد عبد الحميد الثاني فضاق صدر السلطان به فتأثره الجواسيس وضيقوا عليه ، فنظم قصيدة ذم بها عبد الحميد وسلوكه ودفعته الجرأة ان ينشدها ابا الهدى الصيادي ، فكتب بها ابو الهدى تقريراً رفعه الى السلطان فكان ذلك سبباً في سجن الزهاوي :

أيامر ظل الله في ارضه بما نهى عنه الله والرسول المبجل
فيفقر ذا مال وينفي مبرءاً ويسجن مظلوما ويسبي ويقتل
تمهل قليلا لا تغظ انه اذا تحرك فينا الغيظ لا تتمهل
وايديك ان طالت فلا تغترر بها فان يد الايام منهن اطول

وقد عين الزهاوي بعد الانقلاب العثماني استاذاً للفلسفة الاسلامية في « مكتب المسلكية » في الاستانة وعين في الوقت نفسه مدرساً للادب العربي في جامعة دار الفنون ثم انتخب نائباً عن متصرفية « المنتفك » من اعمال العراق في مجلس النواب العثماني ، ثم عاد لبغداد بعد انقشاع الحكم العثماني عن العراق ، فعين عضواً في مجلس المعارف ثم رئيساً للجنة ترجمة القوانين العثمانية ، وللزهاوي مقالات في مواضيع شتى نشرتها له المجلات العربية المعتبرة ، وله من الكتب العلمية والادبية الشيء الكثير ، وأما دواوينه الشعرية فخمسة دواوين آخرها ديوان الاوشال وهو يجمع بين دفتيه كل ما نظم الزهاوي في سن النضوج .

يبدو لنا من شعر الزهاوي انه كان حريصاً على امرين ، ان يشتهر بالفلسفة وان يدعى نصير المرأة ، ولا نستطيع ان نمر بهذه الظاهرة النفسية دون ان نعللها تعليلا نفسياً . فالزهاوي رحمه الله مطوي الناس على شعور بالنقص وهذا الشعور قد كونته في نفسه عوامل شتى يرجع اكثرها واقواها الى طفولته ونشأته الاولى ، وقد يكون المرض العضال الذي اصابه في نخاعه الشوكي سبباً قوياً من اسباب ذلك الشعور . ومن طبيعة هذا الشعور ان يدفع صاحبه الى الكفاح في سبيل الرفعة بطرق شاذة . والرفعة في نظر من يشعر بهذا الشعور هي الشهرة وما اليها ، ولهذا فهو يسلك سلوكا شاذاً ليحصل على هذه الشهرة . واما سلوك الزهاوي الشاذ في شعره للحصول على الشهرة والمدح فيتجلى في مخالفة البيئة التي يعيش فيها مخالفة فيها روح التحدي لتتوجه اليه الانظار ولو كان في هذه المخالفة وقوع الاذى عليه وحلول الضرر به . نقول هذا ونحن نجزم بان هذا الشعور في نفس الزهاوي هو منبع القوة في شعره . فهو تحت ضغط هذا الشعور في نفسه طرق ابواب الحياة المغلقة في وجه الامة العربية بالخير الوفير ، فقد فتح بابا لحرية الفكر والاجتهاد الفردي في الوسط الذي يعيش فيه ، ولا يعنينا هنا ان الزهاوي اصاب بفلسفته ام اخطأ وانه شاك فيما ذهب اليه من آراء ومعتقدات ام مؤمن وكل ما يعنينا انه فكر بطريقته الخاصة التي تخالف طريقة سواه واحتمل نتيجة هذه المخالفة في المواضيع المشتركة بينه وبين البيئة التي يعيش فيها ، ونحن بعد ان قلبنا ما وصل الى يدنا من شعر الزهاوي اصبحنا نعتقد بان قصيدته الطويلة المسلسلة المسماة بثورة في الجحيم هي الصورة الصامتة لنفسيته والمعرض الواضح لآرائه وافكاره والموضع الامين لقوته ونزوعه ، اما فلسفته في هذه القصيدة وتردده بين الالحاد والاعتقاد ، وحيرته بين الشك واليقين فلا نحب ان نتعرض له الآن لأن التعرض له ليس من غرضنا في هذه الكلمة .

ولنصغ الآن الى ملكي القبر منكر ونكير وهما يسألان الميت في قبره عن السفور والحجاب ، هذا الامر الذي شغل الزهاوي زمناً طويلا واحتمل في سبيله اذى كثيراً .

قال هل في السفور نفع يرجى قلت خير من الحجاب السفور
ان في الحجاب شلا لشعب وخفاء وفي السفور ظهور
كيف يسمو الى الحضارة شعب منه نصف عن نصفه مستور
ليس يأتي شعب جلائل ما لم تتقدم إناثه والذكور
ان في رونق النهار لناسا لم يزل عن عيونها الديجور

بعد أن اتم الملكان استجوابهما للميت عذباه عذاب القبر واخذاه الى الجنة ليجعلا من رؤيته لها عذاباً له فوق عذابه . ثم اخذاه الى الجحيم فقذفا به في صميمه فالتقى هناك بالاشقياء المعذبين امثاله ، وهناك قد جمع الالم المشترك بين القلوب المتباعدة ، وكون العذاب بين المعذبين وحدة دفعتهم لان يفكروا بالخلاص من عذاب الجحيم ، فعقدوا اجتماعاً تبارى فيه الخطباء في حض الجمهور المعذب على انقاذ نفسه من بلاء الجحيم والقى خطبة

صورة وصفية

عايدة

بقلم وديع فلسطين

اسم موسيقي كصاحبته ، يرن في الاذن عذباً كما ان صاحبته تقع من النفس موقعاً طيباً .

إن « عايدة » فتاة عاملة مجاهدة ، مجالها الجماعة كلها ، وميدان خدمتها البلاد المصرية جميعاً . وهو ميدان فسيح لأن المشكلات في مصر لا تكاد تنتهي : من فاقة تذل الكبرياء ، ومن مرض يسطو على القوى ، ومن جهالة تخيم على الاذهان والابصار ، ومن عادات ذميمة رسبت في الحياة واستقرت وبات من الحتم استئصالها وغرس عادات اخرى تفضلها وتسمو عليها

جندت « عايدة » نفسها في خدمة الجماعة ، ولو أنصفت مصر المرأة – كما نأمل ونرجو في زمن قريب – فان المقعد المختار لعايدة سيكون مقعد وزير الشؤون الاجتماعية لأنها فتاة استجمعت من آيات المعرفة كثيراً في فترة من الزمن وجيزة ، ثم عملت بين ذوي الخصاصة من ساكني الريف لترفع مستوى المعيشة بينهم ، ثم اخذت تنشر تعاليم الجماعة المتآزرة المتعاونة في محاضرات تلقيها على طلاب سيكونون ذات يوم مسؤولين عن تطبيب أمراض المجتمع المصري .

ولعل مما يغتصب الاعجاب بعايدة اغتصاباً انها – وهي تأخذ الحياة مأخذ جد واجتهاد وكدح – ترى رفيقاتها يزجين الوقت في سهرات تطول ساعاتها ، ورقص ينهك القوى ومطالعة تقتل الوقت ، وحفلات تخترع لها مناسباتها . فهي تسير وتحت إبطها مجلدات يروعك منظرها ، فكيف اذا علمت ان عايدة قرأت هذه المصنفات مثنى وثلاث ورباع ، وانها تستزيد من مطالعتها وتلقن لغيرها محتوياتها . فهي تبحث في « الضمان الاجتماعي » وخير السبل لتطبيقه في بلد تخلف عن ركب الارتقاء ، وهي تدرس أحوال عمال الصناعة من الأحداث وهل يجوز استنفاد قواهم في أعمال بدنية مجهدة ، وهي تفحص العواقب الوخيمة المترتبة على كظة السكان ، وهي تشغل ايامها وامسياتها مفكرة في التشرد وكيف يكافح بل كيف يعالج علاجاً يعصم البلاد منه ومن ويلاته في الغداة .

ان عايدة نموذج للفتاة المصرية التي تخلص للمجتمع اخلاصها لعزيز لديها . وهي تفعل ذلك عن عقيدة راسخة وخدمة لمبدأ اعتنقته ودانت به . فما استحق – في عرفها – أن يعيش من يعمل لنفسه دون غيره ، وما استأهل ماء النيل العذب من يقضي حياته مستأثراً بكل ترف منكراً على غيره كل حق من حقوق الحياة .

ولا تكاد عايدة تجد فسحة من الوقت تركن فيها الى راحة او تجنح الى هدوء . فهي كالنحلة التي لا يضنيها العمل ولا يجهدها الانتقال من مكان الى غيره . ففي الصباح المبكر تبرح عايدة دارها – لا يهمها أفي صيف قائظ ام في برد قارس – لتؤدي عملها في خدمة الجماعة – وفي الظهر تسارع الى حيث تلقي محاضراتها على الطلاب الكثر ، وبعد الظهر تشترك في الاجتماعات وحلقات البحث لتبدي رأيها في كل مرض من امراض المجتمع ، وفي المساء تؤوب الى دارها لتجد بين كتبها ومراجعها ما يهيئها للمفاضلة بين الآراء والاختيار بين المناهج ، وما تسترشد به في وضع الخطط العملية لاستئصال أدواء المجتمع .

تحريضية حرض فيها الملايين المعذبة في ذلك الجحيم على الكفاح ضد الظلم والاستبداد :

قال يا قومنا اننا قد ظلمنا شر ظلم فما لنا لا نثور
اجسروا ايها الرفاق فما نال بعيد الآمال الا الجسور
انما فاز بالجهاد من الناس بآماله الكبار الكبير
قاوموا القوة التي غشمت والدهر للقوي ظهير

فتحمس سكان الجحيم حتى دفعت الحماسة اكثرهم رصانة كابي العلاء المعري فوقف هو الآخر يحرض الجمهور تحريضاً عنيفاً وقال :

غصبوا حقكم فيا قوم ثوروا ان غصب الحقوق ظلم كبير

فرد عليه الجمهور الحانق الغاضب

غصبوا حقنا ولم ينصفونا انما نحن للحقوق نثور

وهنا قام سكان الجحيم قومة رجل واحد واندفعوا نحو الزبانية ، ووقعت المعركة الحاسمة فاحتل سكان الجحيم الجنة واقاموا فيها منعمين مرفهين .

غزة — حمدي الحسيني

وفي عطلة الصيف، لا بد من ركوب الطائرة عبر المحيط الى ولايات امريكا المتحدة، حيث يتسع مجال النظريات وتطبيقها، فتطوف بالريف قاصيه ودانيه، وتجوب المدن الصناعية الكبيرة والصغيرة، وتشهد المؤتمرات وتشارك فيها برأي، ولا بد لها من ان تلتحق بجامعة تتخصص فيها في علم من العلوم الاجتماعية تلتهمه التهاماً في قليل من الوقت حتى اذا ما آبت الى القاهرة كانت قد تزودت بزاد جديد، وملأت جعبتها علماً وعملاً وتجربة واختباراً، وأمكنها ان تواصل ما بدأته من نشاط مطمئنة الى ان الجهود لا تضيع بدداً، وان الثمار لا بد ان تجنى ذات يوم حتى ولو طال أمد الانتظار ولو مد الصبر في حباله المتشابكة الطويلة.

وعايدة تحب التفاؤل وتدين به. ترى امامها الحياة كالحة بمشكلاتها الضخام، وترى البؤس ممثلا في كل ركن من اركان المجتمع، وترى الالم يخنق الاهل، ولكنها مع ذلك تبتسم ابتسامة الواثق المطمئن الطموح. فاذا كان العاملون يتأخرون اليوم الصفوف، فلسوف يتقدمونها غداً، واذا كانت الفقاقيع تطفو اليوم على السطح، فلسوف تذوب في المستقبل، واذا كانت الازمة في ايدي من لا يحسنون اليوم ادارتها فستؤول بعد وقت غير طويل الى من يعرفون كيف يسيرون بزورق الحياة الى مرفأ السلامة. واني لاحسد عايدة على تفاؤلها، لانني أراني اميل الى التشاؤم مني الى الاستبشار، وما ذلك لاني ولدت متطيراً عبوساً بل لان جحود الدنيا ثبت على العينين منظاراً اسود كثيفاً. والواقع اني لارجو رجاء خالصاً مخلصاً ان يصدق ظن عايدة ويخيب ظني، فما اروم لعامل ان يجحد عمله، وما احب لكفء ان تنكر عليه كفاءته، وما اريد لمفكر ان يشقى بسبب فكره. وهذه جميعاً – ويا للاسف – صفات جماعتنا اليوم.

ومرد التفاؤل عند عايدة الى انها تعمل في خدمة الجماعة عملا كله تضحية وايثار وانكار ذات. ولو خيرت بين منفعة تجنيها وبين خدمة تؤديها، لآثرت الثانية وان تجشمت في سبيلها العناء المبرح. ولولا التفاؤل المشرب بالامل، ما كان من الميسور على عايدة – وهي ذات حسب ونسب وجاه – ان تنزل الى الميدان وسلاحها علمها وسبيلها معرفتها تريد بهما ان ترفع المذلة عن اعناق السواد من الشعب، فقد كان في وسع عايدة – لو شاءت – ان تعيش مدللة في برج عاجي مرمري، وكان يمكنها ان تشيح بعينيها عن رؤية البؤس والشقاء، وكان في مقدورها ان تبدل سيارات في كل عام باخرى من طراز جديد. ولكنها تركت كل هذا النعيم وآثرت ركوب الاوتوبيس والترام، ورضيت ان تسير على قدميها وتخوض اوحال القرية والمصنع لتكون على بينة حقيقية صادقة بما يدور في البلاد. وهي لذلك حريصة على التفاؤل الذي هو رغبة المتمني ومطلب الساعي. فالطبيب اذا درى ان مريضه ميئوس منه، ابى ان يدنو لعلاجه. اما اذا كان متفائلا من نتيجة عمله، أقدم على مباضعه ومشارطه يستأصل شأفة الداء ويعيد للمريض هناءته المفقودة.

وليست عايدة اول العاملات في المجتمع، فقد سبقتها الى ذلك كثيرات غيرها. ولكنها تتميز عليهن جميعاً من حيث الهدف. غيرها من النساء عملن لكي تسند إليهن المناصب ذات الخطر، او لكي يتدرجن في سلم الوظيفة فيبلغن اقصى ما يجود به سخاء الرجال، او لكي تروي الصحف انباءهن وصورهن، اما عايدة فهي تعمل في صمت بعيدة عن الاضواء، ترضى لنفسها بالقليل وتقبل ان يتقدم عليها غيرها، وتنأى عن حلبات السباق على المناصب ومقاعد الشرف وتكون دائماً في طليعة الذين يعطون.

وما هذا بمستغرب عن عايدة، فهي قد اخذت من والدتها الجليلة كثيراً من المبادىء والصفات والآراء. وحبذا الام تغرس في ابنتها منذ طفولتها ان تحب الوطن وتقف حياتها على خدمته وتسهر لرعاية ابنائه وتتألم اذا أتاها نبأ مأساة اصابت صميم المبادىء. حبذا الام تساير الاجيال في تفكيرها، وتتابع الحياة في مراحلها، وتتعرف من شؤون البلاد وشجونها ما يجعل منها عضواً عاملا في بناء حياة فضلى سامية.

حبذا الام تنشر حبها لا على ابنائها وحدهم، بل عليهم وعلى ابناء الوطن جميعاً، لان من ابرز صفات الام التضحية والايثار، واذا احبت ابناءها حباً صادقاً، هان عليها ان تحب ابناء غيرها وتعطف عليهم عطفها على ابنائها.

ان عايدة ثمرة تربية كريمة في كنف ام جليلة، وثمرة ثقافة عالية هيأتها لها الدراسة الجامعية الفطنة، وثمرة شخصية قوية كان لها فضل تقويمها وتكوينها واعدادها، وثمرة وعي يقظ بالوطنية الصادقة غير الجوفاء.

ولو كان في مصر كثيرات من أتراب عايدة لامكننا ان نقضي على الاوبئة الخلقية التي تفتك بالجماعة قضاء مبرماً في وقت وجيز. ولكن رصيفات عايدة قلة وقد صدق الشاعر حين قال:

بغاث الطير اكثرها فراخا
وام النسر مقلاة نزور

القاهرة · **وديع فلسطين**

مقدمة لدراسة الشخصية

بقلم ابراهيم العريض

١ ـ التداعي

ذلك هو تراثنا الاكبر من الحياة . وعلى نوع هذا التداعي ـ ما دمنا على قيد الحياة ـ يتوقف موقفنا منها . ونظرتنا اليها ، وبالتالي تعلقنا بالمثل التي تهدف اليها الحياة ... بنا ... فوق هذه الارض . ولا سبيل لتحقيق ذلك الهدف البعيد غير هذا التداعي الذي نظفر به من قريب . ولا من غاية تنتظرنا في آخر الطريق غير الاحتفال بالحياة نفسها .

وعجيب امر هذا التداعي . فنحن اذا جاوزنا الحياة الى الادب مثلا . وجدنا انه يرجع الى عامل التداعي وحده ما يتميز به منطق شخص عن آخر من سمات . وكل ما ينشأ عن اختلافه من هذه المفارقات الكبيرة التي نلمس اثرها بين ادباء الجيل في خواص شئونهم .

يروى انه تذاكر قوم الشعر في مجلس عبد الملك بن مروان فذكروا قول نصيب :

أهيم بدعد ... ما حييت ، فان أمت فوا حزنا ممن يهيم بها بعدي

فقال بعضهم : والله لقد أساء القول . أيخون ممن يهيم بها بعده ؟ قال عبد الملك : فكيف كنت تقول لو كنت قائله ؟ قال: كنت اقول .

أهيم بدعد ... ما حييت ، فان أمت اوكل بدعد من يهيم بها بعدي

قال عبد الملك : والله لأنت أسوأ قولا منه حين توكل بها . فقالوا : فكيف كنت تقول يا امير المؤمنين ؟ قال : كنت اقول.

أهيم بدعد ... ما حييت ، فان أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

فقالوا جميعاً : انت والله يا امير المؤمنين اشعر القوم .

وقد سقنا اليك هذه الرواية لان فيها اكثر من دلالة على ما نحن بصدده . فاذا جاوزنا النظرة التي كان القدماء ينظرون بها الى الادب مثلا ـ وهذا ما تشهد به الرواية ـ الى الابيات نفسها . وجدنا فيها موضعاً للاخذ والرد يؤسفنا ان نقول ان القدماء في نقدهم قد أخطأوه ـ كعادتهم ـ جرياً وراء احكامهم التقليدية . فالتداعي عند نصيب هو الصحيح من الوجهة النفسية . فهذا ما يشعر به العاشق الولهان ازاء من يحب وهو يقاسي منه الصدود . اما التداعي لدى الثاني فهو متكلف وعلى شيء من التجرد والبرود . وعذر الرجل معه لانه لم يحس احساس الشاعر الاصيل وانما اراد ان يسامر من في المجلس بوجه من القول ان جاز لوقته فهو لا يمت الى الواقع بصلة . واما التداعي عند عبد الملك ـ وهنا موضع الشاهد ـ فهو خاص به ، وانما صح بالنسبة اليه وحده كملك على عرشه تعنو له العباد . تعود ان يتطاول عليهم مدلا بما له من سطوة وسلطان . وان لا يدين في الحب ... الا كما يدين في الملك ... بالاثرة لا الايثار .

وكما انا لا نميز الافراد الذين يحيطون بنا في المجتمع ، والذين نسعد او نشقى اجتماعياً بما تنعقد بيننا وبينهم من علائق ، الا بآية ما نلمسه ـ هنا وهناك ـ من انعكاسات سلبية ، او ردود فعل ايجابية . في الظروف الخاصة ـ او العامة ـ التي تجرفنا معهم بتيارها ـ لحظة او لحظات ـ على غير اختيار منا او منهم . فنحكم ـ على ضوء هذه العلائق ـ لهذا بالطيبة ... ولذاك بالتعجرف ... ولثالث بالشذوذ . دون ان يكون لدينا ـ مبدئياً ـ من الوسائل لمعرفة « الحقيقة » الا تكرر امثال هذه التصرفات من معارفنا هؤلاء . كلما القت الحوادث بعضنا بصدماتها في احضان بعض ...

فكذلك في الادب لا نستطيع ان نتبين حقيقة الانفس التي تتقنع به . وتتخذ الكلم لوحة لذاتها واطارا الا بآية ما نلمسه ـ في هذه الكلمة او تلك ـ من انعكاسات سلبية . او ردود فعل ايجابية . في الظروف العادية ـ او غير العادية ـ التي يتكهربون لها . فيجربون ان يعدونا بآثار هذا التكهرب . ولكن باختيار منا ... لا منهم ... في اللحظة او اللحظات التي يتم فيها بيننا وبينهم الاتصال . فنحكم على اثر هذا التجاوب العاطل . لهذا بالتهويش ... ولذاك بقوة الحجة ... ولثالث بالتقعر ... دون

ان يكون لدينا من القابلية لمعرفة الحقائق الا قابلية الذوق المكتسب من تكرر اصاباتنا بامثال هذه العدوى من اقلام هؤلاء وألسنهم كلما جمعت الحياة بيننا وبينهم ـ ألفة ـ على صفحات كتاب.

حدث اسحق الموصلي قال: قرأت على الاصمعي شعر امريء القيس فلما بلغت الى هذا البيت

أمن اجل اعرابية حل اهلها بروض الشرى عيناك تبتدران

فقال لي: أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهر

قلت: لا. فسكت عني فقلت: ان كان فيه شيء فافدنيه. قال: نعم. اما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذي قدرة على ما يريد.

قال اسحق: وما رأيت قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر.

هذا التداعي في الفرد هو الذي يلبس في المجتمع ـ كما في الادب ـ قناع العاطفة. ونعني بالكلمة هنا معناها الاصيل. اي ما يعطف شخصاً على آخر. لان ما يصدر عن التداعي من انفعالات في نفس هذا الانسان هو الذي يسبغ هذا القناع عليه وربما عقدها تقلب الانسان بين بني جنسه فلا نكاد نتبينه من وراء القناع.

وقد يستقل هذا التداعي بالفرد بعيداً عن احوال المجتمع. وبالتالي عن مجالات الادب. كما كان الحال في حياة الغاب مثلا. ولكنه يظل عندئذ شعوراً محضاً. لان هذه الانفعالات الصادرة عن التداعي وان امكنها ان تلازم الانسان بصورتها البدائية سواء بسواء، حتى فيما لو قدر للانسان ان يحيا حياته منعزلا عن المجتمع ... على انفراد. الا انها بصورتها البدائية تلك لن تتجاوز به مرحلة الشعور. فالعاطفة كما نألفها لا تكون الا حيث يستتب امر الناس. ويتم بينهم التواطؤ على مفهوم مشترك. والادب في حقيقته ليس الا حلا وتركيباً لهذه الانفعالات في اطار موسيقي يوحي باجوائها تداعي الالفاظ في نحو خاص. فتتداعى اخيلتها بحكم دلالتها الرمزية. حيث تعديك من جديد بحالاتها الماضية. واذا كان للالفاظ موسيقاها الخارجية، فان وراء حروفها للانفعالات موسيقى داخلية هي التي يتجاوب لها القلب في القطع الغنائية البحتة التي تنفرد بالظاهرتين اما في حالة انفرادها باحداها دون الاخرى فان الشعر يكون صامتاً موحيا اذا اقتصر على الموسيقى الداخلية. ومجلجلا ذا جرس اذا لم يتجاوز الموسيقى الخارجية. وفي حالة انعدامها معاً لا يكون الشعر الا كلاماً منظوماً فحسب. أنشد ابو فراس الحمداني وهو في اسر الروم:

اقول وقد ناحت بقربي حمامة: أيا جارتا، لو تشعرين بحالي
معاذ الهوى! ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال
أيا جارتا، ما انصف الدهر بيننا تعالي، اقاسمك الهموم، تعالي
تعالي.. ترى روحا لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب، بال
أيضحك مأسور، وتبكي طليقة ويسكت محزون، ويندب سال ؟
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غال

فهل تحس ـ مثلي ـ في هذه الابيات اثر هذه الموسيقى الداخلية التي يصيخ لها القلب مغمض الاجفان؟ والمسألة على كل مسألة الذوق. فلقد مر بها البارودي مر الكرام. لانها ليست ذات جلجلة في ديوان الشاعر كأخواتها. فلم يرها جديرة بمختاراته.

بينما في الموسيقى الخارجية لا اخالك واجداً كالبحتري شاعراً يطربك بجرسه:

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ولا اعني انه خلو من الموسيقى الداخلية. فالواقع انها تسري سريان الروح في اكثر شعره. وتتساوق مع رنة هذا الجرس الخارجي. فتترك في نفس القاريء جواً مشبعاً بالفتون. وهذا ما يميز ارغن شاعرنا على غيره من ذوي الاجراس.

فمن تشابك هذه الانفعالات ـ اذن ـ بين الافراد تزدهر حقاً كل العواطف الانسانية. مهما بلغت من التسامي، كنوطات الموسيقى اذا تم لها الانسجام. كما يرجع الى اشتباكها احط ما تنحدر اليه الحيوانية ـ عند بعض الناس ـ من هذه النزعات التي تتأصل جذورها في غرائز جميع النفوس بلا استثناء اذا ظلت ثائرة ولم تنسجم. ولعل هذه هي الحقيقة البسيطة التي تكمن وراء كل العقد النفسية على تباينها بين الافراد. واختلاف احوالها في البيئات. سواء أكان اطارها «الادب» بصفته احد الفنون ... او ميدانها «الحياة».

اما في الحياة ... فلأن الحي لا غناء له عن التقلب مع الآخرين ضمن حدود مرعية. ولا مندوحة للاحياء من مواقف يناقض بها بعضهم بعضاً. كلا حسب شاكلته. تعطي كل شخصية اتجاهها وربما استقلالها. واما في الادب ... فلان ما يدور على لسان الاديب او ما يسيل به قلمه من البيان لا يتوخى الا تحريك التماثيل «الحية» لهذه الشخصيات امام العيون بعملية الحل والتركيب لانفعالاتها ضمن ما توحي به الالفاظ من اجواء بتداعيها ... في شكل اساليب. فكلما كانت الشخصية اكثر استقلالا كان لاسلوبها طابعه الخاص الذي لا يمكن ان يشاركها فيه الآخرون.

ولذلك اذا انصب حكمنا على انسان ـ او صورته «المثلى» في الادب ـ بخير او شر. فانما ينصب على العاطفة التي تكون مجلى هذا التداعي فيه بتنافرها او انسجامها. وما الشخصية غير

سكيفولا

بقلم نجاتي صدقي

☆

قصة

من عادات فتيان وفتيات مدينة ليماسول في جزيرة قبرص انهم يخرجون للنزهة عصر كل يوم جميل الطقس الى شاطىء البحر ، فيسيرون على افريزه الصغير روحة وجيئة ، فيتراشقون بالنظرات ، ويتحدثون بالابتسامات ، ويتلامسون بالمناكب .

وكان في مدينة ليماسول هذه شاب عربي اسمه كريم ، قذفت به يد الشر الى تلك الجزيرة كما قذفت غيره من ابناء قومه ، فضجر مرة ، وضجر قبرص قاتل ، فذهب ليروح عن نفسه بالتنزه على الافريز مختلطاً بتلك الجماعات من الشباب اليوناني النضر ، التي يبحث كل فرد من افراده عن ضالته ، فسار معهم ذهاباً واياباً ، شارد الفكر ، ذاهل البصر ، وفجأة سمع صوت فتاة تعنفه قائلة : كيف تدوس على قدمي دون ان تعتذر ؟.. فارتبك كريم واعتذر ، وكرر الاعتذار ، ثم شعر برغبة ملحة تدفعه لأن يترجم لها ابياتاً من الشعر العربي في الاعتذار ، وان يروي لها امثلة تاريخية

ثمرة مباشرة لازدهار العاطفة بين يدي الحياة . فالعاطفة هي التي تظهر صاحبها امام اعيننا « انساناً » ذا شخصية محببة هنا او على العكس هناك . ولا يمكن الحال الا ان يكون كذلك ما دامت هذه العواطف ليست في حقيقتها الا الصورة الخارجية لما يكون عليه التداعي عند الفرد ... في طية نفسه .

ولم لا يكون للعاطفة هذا الاثر الموغل في الادب . وقد قدر لها ـ وحدها ـ ان تصرفنا في كل صلاتنا الفردية . وتحتم علينا في المجتمع الانساني الذي نضطلع بعضويته ـ راضين او كارهين ـ هذا الموقف المشهود من اعضائه . بحيث يتهيأ لكل فرد ـ على حدته ـ رد فعل بعينه ازاء ما يصدمه من الحوادث في ظروفه الخاصة . فنرى في مجموع وقائعها صورة منعكسة للنفس هي التي نطلق عليها اسم « الشخصية » . وما هي ـ في واقع الامر ـ الا مجموعة اعتبارات عما نجهل من امر الشخص مستشفة من تصرفاته الخاصة والتي تقبض زمامها العاطفة وحدها [1]

فلا غرو اذا كانت الخطوط الرئيسية التي تبرز بها ملامح الشخصية ـ في الادب بصورة خاصة ـ هي اولا ... موقفنا من الحياة . وثانياً ... نظرتنا الى الحياة . وقد سبق ان قررنا في غير مكان [2] ان كل شاعر ، بغض النظر عن مقامه الاجتماعي ، هو ... باعتبار موقفه من الحياة اولا . اما منطو على نفسه كالكوكب المنقض في اضيق مجال مثل المجنون في حب ليلاه .

أليس وعدتني يا قلب اني اذا ما تبت عن ليلى ، تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى فما لك ، كل ما ذكرت تذوب ؟

او منطلق كالشعاع الكوني الى اقصى حدود الشمول مثل المتنبي في تقنص الحقائق

ارى كلنا يبغي الحياة بسعيه حريصا عليها ، مستهاما بها ، صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى وحب الشجاع النفس اورده الحربا

وهو ..... باعتبار نظرته الى الحياة ثانياً . اما متفائل كالربيع الضاحك بازهاره مثل ابي بكر الزهري في انتظار فاتنته :

ولما نزلنا منزلا طله الندى أنيقا وبستانا من النور حاليا
اجد لنا حسن المكان وطيبه منى ، فتمنينا فكنت الامانيا

او متشائم كالسماء الملبدة مثل ابي الاحنف تدلها بـ « فوز » .

اذا سرها امر وفيه مساءتي قضيت لها فيما تحب على نفسي
فما مر يوم ارتجي فيه راحة فأخبره .. الا بكيت على امسي

فهي اذن حالات ... تتراوح فيها نفوس الشعراء بين هذين « القطبين » على درجات . وكذلك الخلق كلهم مع هذا الفارق وهو ان الشاعر انما تظهر قدرته فيما يتخذ من وسائل فنية لترك قيمة هذه الشخصية ماثلة للعيان .. ولذلك فان النقد الادبي لا يهمه في الشعر ـ كما لا في اي فن آخر ـ قيمة هذه الشخصية بمقدار ما يهمه توفيق الشاعر في تشخيصها وابرازها للعيان .

فذلك ما كنا قررناه قبلا في مقالنا « بين الحكمة والفن » [3] وقد آن لنا ان نتبسط في تحليل هذه القضية واشباعها درساً ما دام بحثنا يعود ـ منذ الآن ـ مركزاً على سبر غور الشخصية نفسها ... والسمات الذي يتسم بها ذووها في التاريخ . وما نجد ـ في الادب ـ من توفيق فئة من الشعراء في تشخيصها ماثلة للعيان . نستشفها على حقيقتها من وراء الاساليب .

البحرين — ابراهيم العريض

---

١ ـ راجع « العاطفة في الشعر ـ منزلة الشعر بين الفنون » « الاديب » ١٩٤٨

٢ ـ توطئة « الاساليب الشعرية » ـ منشورات مجلة الاديب

٣ ـ راجع المقال المذكور في الاديب ١٩٥٠ .

في التكفير عن الخطأ .

فغفرت له خطأه ، واشفعت هذا الغفران بابتسامة ورثتها عن افروديت ابنة لجج بحر قبرص ، زوجة هيفياستوس ، وام كيوبيد والهة الحب والجمال .

ويتفرق الفتيان والفتيات وكل منهم يفكر فيما فعله في ذلك اليوم في سبيل الحب .

وتحل ايام المرافع، وليماسول تمتاز بمرافعها الزاهية الصاخبة، فيأتيها اهل الجزيرة لقضاء عشرة ايام يتحللون فيها من كل قيد او تقليد ، فهناك الخمرة القبرصية الشهيرة، واللحم الضان، والجبن الحلومي ، والمجون ، والسخرية ، والرقص المستمر ، فالليل لا يطيق فراق النهار، والنهار لا يدع يد الليل تفلت من يده، والناس يتهالكون في حلبات الرقص ، فالفتاة تغتنمها فرصة سنوية ، والعجوز تتنكر في لباس الصبايا وتخاصر الشباب وتود لو تموت بين ايديهم .. والشيخ يضع القناع على وجهه ويطوق النحور النحيلة ، ويشم الشعر المعطر ، ويذرف الدمع السخين على ايام ولت ، وحياة اضمحلت .

والرقص في مرافع ليماسول فريد في نوعه ، فالقاعة المعدة لالف شخص تضم بين جدرانها ثلاثة آلاف او اكثر ، فتعزف الموسيقى داعية النشاوى والسكارى الى دخول المعترك ، فينزلون الى الميدان ويرقصون ولا مجال للرقص، فالكل راقص وراقصة، فهي اجسام اتحدت ببعضها، وصدور التحمت بالصدور، ورؤوس استندت الى رؤوس ، والشرائط الملونة تقيد الرقاب والايدي والارجل ، والضجيج والصخب يسلبان العقل واللب ، الى ان يتوقف العزف لحظات ليعود ثانية داعياً القوم الى بذل النفس النفيس

ويريد القدر ان يجمع كريم بالفتاة اليونانية في هذا الحفل، فيدعوها الى مراقصته فتلبي الدعوة وكلها رضاء وحبور، ويسألها وهما في غمرة الرقص :

ــ هل لي ان اعرف اسمك ايتها الآنسة ؟ ..

اسمي سكيفولا، وما اسمك انت ؟ .

ــ اسمي كريم .. أتذكرين يوم التقينا على الافريز ؟.

ــ كيف لا اذكر !... وانتزعت قبعة من الورق الملون من على رأسها وتوجت بها رأسه، وظلا يرقصان ويضحكان ويمرحان، الى ان حل ميعاد تناول فطور الصباح في المقصف المباح .

وهنا تبدأ المأساة. لم يفكر كريم بالزواج لانه متزوج وزوجته تنتظره في بيروت، ولم يبحث عن علاقات غرامية لأنه عب من هذه الكأس في صباه ما فيه الكفاية. لكنه كان فضولياً او محباً للمعرفة وللاختبار الذاتي ، ويتأثر بالصبا والجمال .

وعلمت سكيفولا بامر زواجه ، وكانت قد شغفت بكريم ، لكنها لم تيأس !

فكتبت له مرة تقول : « حبيبي كريم : إني اسالك العفو لانني وقعت في خطأ كبير ، لقد احببت انا الفتاة اليافعة رجلا متزوجاً دون ان يكون لي امل بالحصول عليه اني احبك من صميم قلبي، وافكر بك، واينما اذهب تكون انت دائماً في قلبي.

لم تكتب لي يا حبيبي باسطر شحيحة ما علي ان افعله ، فانت تعلم بانني اعجز من ان اعدل عن حبك .

لا تجعلني فتاة بائسة، وبوسعك ان تجد لي السبيل لتظل الى جانبي. لك الى الابد يا اشعة شمسي . « سكيفولا »

وكتبت له مرة ثانية وهي تقول : أي نور عيني كريم ! تمر الايام والاشهر ، ويظل حبي لك اقوى من اي وقت مضى، ولن تمنعني عن حبك اية قوة في العالم .

كنت اسعد فتاة في ليماسول الصغيرة ، كنت فرحة مرحة ، لا اعرف ما هي الهموم ، ولا ما هي السوداوية ..ولكن ماذا حل بي منذ عرفتك ؟..

رجائي اليك يا عزيزي ان تحتفظ بكتابي الحقير هذا ، وتذكر ان هناك شخصاً يحبك . لك الى الابد « سكيفولا »

وهكذا وقع كريم في مأزق حرج، فقد احب اللهو البريء فنتج عن ذلك حدوث حب من جانب واحد ، فاخذ يتحاشى ايلام شعور الفتاة ، وسلك معها مسلك الصديق الناصح .

وجاء يوم عقد فيه كريم النية على السفر الى بيروت لاستحضار زوجته ، فبلغ سكيفولا الخبر ، واظلمت الدنيا في ناظريها ، فاسرعت وسألت كريماً بالهاتف ان يقابلها في حانة اعتادا ارتيادها في الامسيات .

وهرع كريم في الموعد المضروب الى حانة « كاركلاس » وفي هذه الحانة راحت سكيفولا تروي له والدمع يترقرق في عينيها : لقد جاء من يخطبني !

فاجابها فرحاً : اهنئك .. ومن هو خطيبك ؟.. قالت : خطيبي رجل في الخمسين من عمره ، تاجر يوناني في الكونغو طلبني من والدي فابديا موافقتهما.

قال : وما موقفك انت ؟.. قالت : لقد رفضت الزواج منه لانه في عمر ابي .. لكنني سرعان ما عدلت عن رأيي هذا ووجدت في هذا الزواج غير العادل وما يتبعه من آلام ، وغربة الحل الوحيد للتكفير عن الخطأ الكبير الذي وقعت فيه !

***

وفي عصر يوم من ايام شهر يناير سنة ١٩٥٠ اقلعت من ميناء ليماسول باخرتان واحدة متجهة نحو قناة السويس فافريقيا وهي تقل سكيفولا مع زوجها الشيخ ، والثانية متجهة نحو بيروت وهي تقل كريماً المسافر في طلب زوجته .

سجاني صدقي

غرام الفريد دى موسيه وايميه دلتون

او موسيه بعد صاند

لاندريه فيليه

النفى

« الفريد دى موسيه » عند مدام « جوبير » ، بابنة عم لها، شابة، تدعى «إيميه دلتون» على حظ وافر من الجمال، تصغره بعام واحد.

كانت «إيميه» غضة الشباب ، خمرية اللون ، تتدلى خصل شعرها الشقراء على اذنيها وعنقها وكتفيها بحركة إغراء . أما عيناها ففيهما حيوية دافقة، وثغرها معبر، وكفاها وقدماها غاية في الدقة واللطف .

وكانت على جانب كبير من الرقة والعذوبة وخفة الحركات واللفتات وكان لا يضاهي جمالها الا ذكاؤها النادر الرقيق وقد ولدت ايميه في العشرين من سبتمبر سنة ١٨١١ في هامبورج. وما كان في طلعة الفريد دى موسيه، هذا الشاعر المعشاق شيء يرعبها أو ينفرها .

وقد فقدت امها عندما بلغت العشرين من عمرها. وكان والدها الكسندر دلتون بطلا من أبطال الحروب النابليونية ، وقد عهد بتربية طفلته الحبيبة الى ابنة عمها « كارولين دلتون»، صديقة موسيه.

وما أن شبت عن الطوق حتى اصبحت قبلة انظار المعجبين من الشبان ، الذين راحوا يبثونها، وهي بعد في الرابعة عشرة، لواعج الغرام ، ويفتحون عينيها الجميلتين على دنيا الحب والجمال ولكن كان لهذه الفتاة الفتية من الذكاء وسرعة الخاطر ودقة الملاحظة ما سلحها وحذرها من اوهام العشاق وحيلهم ، فكانت ترد لهم الصاع صاعين وخاصة عندما يتورطون في مغازلتها فان ردودها السريعة، وقريحتها الوقادة وبديهتها اللاذعة كانت ترهب الشبان المغامرين اكثر مما ترهبهم مراقبة ابنة عمها التي لم تكن دقيقة الى حد يحفظ على فتاتنا الناشئة راحتها بل ان كارولين كانت تقع في غرام هذا أو ذاك من العشاق على مرأى من الفتاة فلا يزيد هذا « إيميه » الا حذراً وبعداً وسخرية ...

●

ولم يابه «موسيه» ـ وهو العائد من ايطاليا، والمعاني آلام حب لعله من أعظم غراميات التاريخ ـ لم يلاحظ هذه الفتاة العابثة الذكية ، بل لعل بعده عنها هو نفس بعده الواعي عن العنب الذي لا زالت فيه بعض خصائص الحصرم ، إنه سكر بصاند وغير صاند من النساء فلا ينقذه من يأسه الا امرأة مكتملة مثل كارولين.

وراح ـ اذن ـ يغازل كارولين، اما حيال إيميه فكان يبدي البرودة والاحترام وهذا ما زاده في عيني الفتاة جمالا على جمال ، وحببه اليها حتى تمنت ان يكون هو حبيبها المنشود .

ولكن كارولين استسلمت اليه بسرعة ومنحته كل شيء فلم يعد يطلب عندها شيئاً ، فتحول الى العنقود الآخر ، بعد ان شعر بأعصابه باردة لا يسكرها الا انتصار الهين ولا الخمرة المبتذلة .

وفي احدى الامسيات ، وفي صالون كارولين ، جلس الشاعر ، بعد ان تنبه لجمال ايميه الساحر جلس يداعبها ويحوم حولها .

راح يذكر بعض الملاحظات حول السأم والغرام ، وكانت « إيميه » تجيبه بصوتها الناعم اللاهي ، الذي تشيع فيه

رنات طرب كتلك التي تشيع في شبابة الرعيان الريفيين. مضيفة الى الطرب والمرح، لطفاً أعجب الشاعر وجذبه منذ اللحظة الاولى.

وحدثت بعض المفارقات بين الشاب الشاعر، وبين الفتاة التي كانت تهواه في اعماق قلبها. وحدثت كذلك بعض «الصدمات» الخفيفة... فقد قالت ايميه فجأة، اثناء تلك السهرة الماتعة:

ـ أما انا... فلا شيء يجمع بيني وبين العشاق! إنني بعيدة كل البعد عما يسميه هؤلاء الشعراء السخفاء حباً وغراماً.

ابتسم الشاعر لهذه الكلمة... ثم قال: الشعراء سخفاء؟ حسناً؟ اسمعي يا صديقتي الصغيرة، وانشدها مقاطع من «الليالي» فسبحت في جوها العابق بالسحر والغرام بالنشوة والعذاب، بألف خيال وخيال. ثم دفع لها، من خزانة كارولين، بنسخة من «اعترافات فتى العصر» لتقرأها فجلست وراحت تطالعها في الحال ثم نهضت واعتذرت للشاعر، بعد ان عرفت عمق الغرام الذي عاناه، وروعة المأساة التي كان ضحية لها. فأجلسها الشاعر قربه وراح يروي لها احاديث هواه، وتدفقت ذكرياته كالسيل.

ولم يفترقا حتى أيقن الشاعر ان «إيميه» في ذروة الاحساس والعاطفة، وانها تذوب وجداً وعلم انها فتاة لا ككل الفتيات، فهي مترفة الاحساس نبيلة الذوق، غنية النفس. وما كانت مستعدة لان تلعب «دور» ربة الشعر في حياة موسيه ـ كما صرحت له ـ ولكنها على أتم الاستعداد لان تتبع قلبها، دون دعاية ولا اعلان ادبي خطابي ودون طنطنة صاخبة فارغة.

وفي مساء ذات يوم، وبحضور الفريد، أهدت إيميه لابنة عمها مدام جوبير، علبة صغيرة لطيفة، للابر، مصنوعة من اصداف البحر النفيسة السوداء. كانت هذه العلبة غاية في الجمال والروعة. فاستولى عليها الفريد او قل انه اختلسها. وراح يحدق فيها، وصرح بأنه سيحتفظ بها، فأعلنت الفتاة ممانعتها الشديدة وغضبها ان قام بهذا العمل، اعلنت هذا بلطف مهذب فيه بعض نبرات الخجل. وكذلك فقد احتجت مدام جوبير بغضب عاصف فقد شعرت «بالعطف» الذي أخذ بيديه الشاعر لربيبتها الحسناء. بل ان «المربية» العاشقة قد فاجأت الفريد يطبع قبلة على ثغر «إيميه» زعم انها قبلة تمثيلية يشرح لها بواسطتها فصلا من مسرحية «روميو وجوليت».

أصر موسيه على الاحتفاظ بالعلبة، وامتد النزاع الثلاثي هذا، حتى منتصف الليل. واستسلمت «إيميه» لرغبة



موسيه وانسحبت من ساحة المعركة، بعد ان تماسك الثلاثة وتشاجروا، وهي ترتدي قبعة بيضاء زادتها جمالا على جمال.

وصرخ موسيه «آه ما أجمل هذا «العرف» الجميل يا حسنائي!»

●

وفي صباح اليوم التالي، وفي ساعاته الربيعية الدافئة الاولى، تلقت «إيميه» وسط دهشتها وسرورها، هذه المقطوعة التي أسماها الشاعر «عرف الحبيبة الابيض الوردي».

يا عرفها الابيض الوردي، الصغير الساحر
انا ابن سبيل، فقير.. فقير
يا عرفها الابيض الوردي
قليل هو ما أطلب اليك وما ابتغي منك.
فامنحني ما أطلب بلطف
يا تاجها الابيض الوردي

لم تكن «إيميه» لتقرض الشعر. بل كانت على حظ كبير من العواطف والذكاء يسر لها تذوقه والاعجاب به. ولذلك فقد ردت في اليوم نفسه على حبيبها الشاعر بان ارسلت اليه صندوقاً صغيراً من خشب الصندل العاطر الذي يحتوي لا على إبر وخيطان... بل على ريشة للكتابة.

وقد كان الرمز، في هذه الهدية، معبراً واسع الدلالة. وقد كان الشائع، في الأوساط الادبية ان «موسيه»، بالغاً ما بلغت سهولة الكتابة عنده، يلبث الآن دون انتاج.

وكان نمط حياته، في تلك الايام يشجع على اعتقاد كهذا، بل يثبته ويؤكده في الاذهان. وكان بعض الاصدقاء والنقاد يعزون هذا الكسل الى ايميه وابنة عمها، وبعضهم يعزوه الى غرام الشاعر بالخمر. والآخرون يلومون القمار والسهر.

ولعل الجميع كانوا على حق.

فقد قضى الشاعر عامين كاملين، يجاهد ليخرج من نطاق كارولين، فلم يفلح. لقد سيطرت عليه طوال هذين العامين، بالغيرة حيناً، وباثارة آفاق جديدة من اللذة في نفسه حيناً آخر، وبالمال احياناً، حتى ابعدته عن ابنة عمها، فظل ما بين «الفريد» و«إيميه» لا يعدو السطحي من المداعبات.

ولكن شيئاً اقوى من «موسيه» واقوى من «إيميه» واقوى حتماً من حيل كارولين وشراكها واسوارها استيقظ من قلبي العاشقين الشابين الا وهو الحب العميق الصادق. الحب الصافي. وقد ظهر في هذه الخلوات التي كانا يختلسانها اختلاساً، في اعماق حديقة القصر، أو في شوارع باريس، او في منزل الشاعر نفسه. وراحت إيميه تنصحه خلالها بهجر المقامرة والخمر وتوجه اليه نصائح الاخت الصغرى المخلصة التي أمضها فقر اخيها الضال.

وفي صباح يوم من ايام آذار الجميلة تلقى الشاعر في علبة انيقة بديعة، محفظة من الشبك الفاخر، ومعها هذه الكلمة:

«كيف سيتقبلونك يا محفظتي العزيزة الجميلة وهل تقصين على الاحباء اللذة التي صاحبت يدي عند صنعك، وكل العناية المتأنية التي رافقت بدايتك واكتمالك. آه يا محفظتي الصغيرة لعل الأحباء لا ينتظرونك الآن. ولعل وقعك ان يكون ثقيلا عليهم رغم لطفك وجمالك. فهل يهبونك القبلة التي تستحقين. والضمة التي اليها تطمحين.»

لم يعرف الشاعر، للوهلة الاولى، مرسل هذه المحفظة الصغيرة الجميلة، فطاف دور اصدقائه – وصديقاته الكثيرات – واحداً فواحداً. ثم اشير له الى إيميه. فابتسم وتقبل الهدية احسن قبول. وعلم ان حبيبته إيميه قد ذهبت الى «شالون – سير – مارن» لتستشفي من مرض عارض ألم بها:

«يدي ترتجف اثناء الكتابة. فكيف حدث وترددت على شفتي، هنا في باريس، هذ الكلمة التي منعتها من لفظها، والتي أرى نفسي الآن مرغما على البوح بها. هذه الكلمة التي كنت اعلم جيداً انني قد امسك او أجرح – ولو من حيث لا اشعر – احساسك اللطيف النبيل. لا. انني رغم خلواتنا الكثيرة وما تقوله الناس علينا، والله يشهد وأنت تشهدين – أنني لم المح جاداً بما اقوله لك الآن: بأنني اجدك جميلة، حرية لا بالحب فحسب، بل بالعبادة والخلود. إن يداً كيدك لا تستحق قبلة من قبل الصالونات الباردة. انها لتستحق الضمة الحارة التي يعرف امثالي من الرجال الحدب بها على فتاة رائعة الجمال مثلك.

أجل. فثمة محل للصداقة، او قولي ثمة منبع للصداقة نحوي، في هذه اليد المباركة البيضاء، التي عملت هذه الطرفة الدقيقة الجميلة «المحفظة» وثمة فكرة منك ماثلة في كل خيط من خيوطها الذهبية المقدسة او على الأقل هناك نظرة من عينيك المعبودتين على كل خيط من خيوطها. متى اعود فأراك؟

أيتها الحسناء المعبودة؟ يا كنزي المكنون؟ يا حياتي؟ متى تعودين؟ وهل أكون في قيد الحياة؟ ان ساعات الشوق هذه التي اعانيها لتبري جسمي وتمضني مضا!! هذا مدار افكاري في هذه الايام أي هذه السنوات الطويلة التي تمر بي وانا اجاهدها لا نتهي منها برؤيتك ولقائك يا اشهى الحبيبات. وانني اعتذر اليك اذا وجدت في هذه الرسالة بعض الشذوذ او الهذيان ولذلك فلا اطلب منك رداً عليها. وعلى الاخص لا تكتبي الي موبخة لتبعثي في الندم. فعندها وعند كلمة قاسية منك أتألم اشد الألم ... أجل. سأقولها صريحة، انني احبك احبك. احبك!!»

***

كان هذا اعتراف صادق، يلوح فيه بعض الاحترام والحذر. وقد أجابته «إيميه دلتون» بمثل صراحته معترفة بالحب. بل كتبت اليه تصف حبها كما تحس به. وهذا الاعتراف غير المنتظر كان في نظر «موسيه» هبة طوقت عنقه فكتب يقول:

«لم أجد في حياتي مثيلا لهذا الفؤاد العفيف النبيل، الخالي من الحذلقة والدلال النسائي المعهود. لا! انني لا أعرف اخلاصا كاخلاصها ولا محبة كمحبتها!

«لقد زرتني، في اتعس اوقاتي، يا طهارة الملائكة، ويا بساطة الاجواء الزرقاء العميقة. وانت ايتها الحبيبة، لقد وهبتي ببساطة وبملء الحرية اعترافا لا تهبه النساء عادة الا بثمن باهظ من ليالي العذاب وسهاد الحرمان وبعد الف مهزلة والف مأساة. عزيزتي عزيزتي «إيميه Aimée*» يا من ينطبق اسمك عليك ايما انطباق. ما اعظم سعادتي بالحياة، وبأنني عرفتك في هذه الحياة.»

هذه هي مقدمة هذا الحب الذي استمر عامين، عنيفاً حاراً، وبقي حتى نهاية حياة الشاعر الرقيق المبدع، ذخراً له في الملمات والعظائم

●

ونحن نجد بعض تفاصيل هذه القصة، قصة المحفظة وعلبة الابر الجميلة، في قصة «تاريخ هوى» Histoire d'un caprice التي كتبها بعد بضعة اشهر من هذه الحوادث اي في ابريل ذلك العام نفسه.

فحديث المحفظة، وحديث تلك الاسئلة النسائية اللطيفة نجده في هذا

* Aimée بالفرنسية: معشوقة، حبيبة

الفصل المسرحي اللذيذ . وفي شخص « مدام دي ليري » نجد شخصية مدام « جوبير » التي تشبه احدى عشيقات كازانوفا. وكذلك فقد تأثر موسيه بهذه القصة حين كتب مسرحية « ابن تيتيان » Fils du Titien حيث نجد صورة الملهمة بجانب صورة ابنة عمها الغانية التي خلدها تحت اسم السنيورا « دوروتي » .

●

وفي مطلع سنة ١٨٢٧ هذه ، وجد موسيه نفسه مجهداً ، خالي الوفاض ، نقي الجيب . وقد طالب ولي العهد بمهمة سياسية دبلوماسية - اي مهمة للنزهة يسوح الشاعر بواسطتها في البلاد على حساب الدولة - ونوقش في وزارة الخارجية الفرنسية ، أمر الحاق الشاعر بالمفوضية الفرنسية في مدريد . ولكن السلك الدبلوماسي لم يعد يروق للشاعر . ورغم نصائح « إيميه » ، فانه القى جانباً كل ما عرض عليه من نزهات دبلوماسية ، ومستقبل سياسي بسام ، وكل ما يخص ملكات اسبانيا في الماضي والحاضر .

ودامت الصلة بين « الملاك الطاهر » والشاعر . وراح الحبيبان يتبادلان القبلات الحارة - التحريرية طبعاً - لان إيميه لم تسكن قد عادت بعد الى باريس . بل هي تعاني مرضها في قريتها تلك البعيدة . وكان غرامها في تطور واضطرام مستمرين . وها هي حرارة القبلات تصبح لاهبة . وكانت « إيميه » تبعث طي رسائلها ، أوراقاً صغيرة بيضاء تقبلها مئات المرات ، ليبحث الشاعر ، من مكان ثغرها ويطبع عليه - كما كان يكتب لها - الوف القبلات . وما كانا ليفكرا الا في لقائهما المنتظر . وقد زادت الشقة التي بينهما في استعار اوار الحب الذي يجمعهما . وخاصة موسيه . فقد كان « يشتعل » - كما يقول - بالحب والشوق . فلا صبر لديه ولا احتمال . وكان يطوف في الشوارع شبه مجنون وهو ينادي فتاته الحبيبة ! وزاد في اشتعال هذا الحب ، المنتظر ، اللاهث ، نقاء الطبيعة وجمال الربيع . وروعة الخضرة . وتوهج الشمس . وكان يخيل للشاعر ، انه عند قبلته الاولى التي سيستقبل بها شفتي « إيميه » ستزدهر في قلبه معها زهرة .

وكان ما يقلقه هو تعيين مكان اللقاء . فأين يقابلها ؟ والى اين يمضي بهذه الفتاة العذراء ؟ وهكذا تحول الرجل الماجن ، طالباً في كلية ، عوداً على بدء ، وكتب اليها يسألها . فأجابت ببساطة . سأنزل عندك . في غرفة عملك . أليس لديك غرفة صغيرة ؟

وما ان قرأ هذه السطور حتى غرق في سحرها الواعد . واجوائها التي تنشرها حوله رحيبة عاطرة . وكان يتمنى لو فتح لحبيبته ابواب قصر رحيب ، لا باب غرفته هذه المضطربة ذات السرير الواحد الصغير « حيث يمتزج الجمال كما يقول - بالاهمال وترقص على اللوحات الخالدة ، والقصائد العالمية ، صراصير المطبخ الحمقاء » لو قرأنا السطور الآتية ، التي خطتها يراعة شاعرنا ، لما شككنا بمبلغ تحمسه الطفولي ، وتلك المحاولات الصبيانية والاستعدادات الغريبة الذي كان يحيط نفسه بها قبل مجيء الحبيبة الصغيرة . هذا الشاعر المعشاق ، الخليع الماجن ، يتخذ الآن ضروب الاحتياط والحذر ما يضحك منه ماضية القريب ...

القريب جداً حين جاءت الكونتس « فارلي » - وهي كونتس شابة سمراء في العشرين من عمرها لم يمض على زواجها شهران ، جاءت تزور كارولين ، وكان موسيه وحده في منزل عشيقته هذه ، واستقبل الزائرة الغريبة ، وطارحها الغرام في ساعة من ساعات لهوه ومانعت الزائرة في البدء وحاولت الهرب ، ولكنه غلق الابواب وحاصر الكونتس ، من غرفة الى غرفة ، ومقعد الى مقعد .

اما اليوم ، فها هو يضطرب ، وها هي الحيرة تاخذه كل ماخذ . وها هو يكتب الى حبيبته ما يلي :

« احبك . احبك . احبك اجل . انا واثق بهذا وانت واثقة . وفكرتك تروق لي جداً . ولكن قد تعلمين انني اعيش هنا مع والدتي . وهذا يضع بعض العراقيل في وجه غرامنا . تصوري انني اتخذ لنفسي مفتاحاً مماثلاً لمفتاح والدتي . وان علي ان اجتاز غرفة السفرة لادخل الى غرفتي الخاصة . والبيت نفسه ليس كبيراً . وفي داخله ستجدين امي واختي وثلاثة من الخدم . وبين هؤلاء خادمة عجوز تكح كحات فنية توقظ من في المنزل على الدوام . هل خفت يا ملاكي العزيز ؟ سأسارع واحمل الطمأنينة الى قلبك . انك كتبت الي تقولين « انا لك منذ فجر الغد ! » فقفزت عند قراءة هذه الكلمة . لقد زالت الاخطار وتلاشت الصعوبات . وخاصة اذا استطعت ان « تشرفيني

بزيارتك » المشتهاة بين الساعة السابعة والثامنة صباحا، وقد يكون هذا الموعد مبكراً بالنسبة اليك. ولكن ما العمل؟ ولكن خوفي لا يتركز هنا. انني أخشى ان لا تبري بوعدك وان لا تنزلي عند كلماتك التي كتبتها. اكتبي الي بسرعة لاتثبت من قولك يا حبيبتي. فاذا استثنيت الخادمة العجوز، ذات الكحات الدائمة - فانك ستجدين البيت بكامله - يغط في نومه العميق العميق جداً في هذه الساعة المبكرة. فالخدم واصحاب البيت لا يفيقون عادة الا في الساعة العاشرة. فلن تجدي حسا هناك ولا نأمة. سنغرق في صمتنا وفي ذوب من سحر قبلنا الظامئة. فاذا تعالى صدى قبلاتنا، واكبر ظني انه سيتعالى - فان قرب الدار عين ماء جارية سيخفي صوتها اصداء قبلنا. إنك تعرفين بيتنا انه يقع في بناية عتيقة، وبابه على اليمين. فاجتازي المشى المؤدي الى بابي دون ان تخاطبي البواب. فالمشى، في النهار، يتخذ كطريق عامة، وسيصعب عليك ان تجدي الباب تحت القنطرة. ولذلك سأكتب لك، عليه بالطبشور، كلمة لتميزيه من بين الأبواب الكثيرة التي هناك.

ولكن بما انني سانتظر على النافذة، ووراء الستائر فسأرتقب مجيء «غرامي» وآتي به من على الطريق... سأوصله بما عرف عني من محبة وعطف... وما ان تتخطى قدما عشيقتي عتبة غرفتي حتى تصبح في امان تام، وكأنها في اعماق الغابات الهندية. اما الخروج فسهل غاية في السهولة، لانني انام عادة حتى الساعة الثانية بعد الظهر... أو الساعة الرابعة ولم يحدث ان ايقظني اهلي. بل انني منعت هذا منعا باتا، قاطعا، وهكذا فالاطمئنان يسود. وعندي - على كل حال مفتاح اوصد به من الداخل - فان دق الباب تجاهلنا الامر. فتظن والدتي انها ليلة من تلك الليالي التي اعتدت ان اقضيها خارجا... فتذهب... ويزول الهم، آه يا ملاكي المحبوب. يا ايميه! هل لديك فكرة عن ذلك النهار. وكيف سنقضيه. لا! لا!»

***

لا يستطيع الخيال ان يبدع صورة للحب في اكمل مظاهره واصدقها، كهذه الصورة الحقيقية التي مثلها الشاعر وحبيبته في صبيحة ذلك اليوم الربيعي الجميل. حين تركت بيتها، في عربة، وعلى رأسها قبعتها الصغيرة البيضاء، ويممت وجهها شطر نبع «بوشاردون». وكان صديقها الشاعر، كما كتب لها تماماً، ينتظرها وراء الستائر ونزل - كما كتب - واستقبلها ودخل بها الى الممشى، وقادها الى الغرفة.

وحين بلغا منتصف الرواق، كحت تلك العجوز كحتها المعتادة، فجمد العاشقان، شبه متعانقين، ثم غطت العجوز في نومها واحلامها فاستأنف موسيه وإيميه سيرهما حتى غرفته.



جورج صاند

ولا شك ان الغرفة عمرت صبيحتئذ بالاطياف الحبيبة، العاشقة والصور الغرامية الشاعرة، حين جلس الشاعر على قدمي حبيبته ليعبد هذا الجمال الذي طالما اشتهاه في لياليه الطوال.

ولكن المشكلة الكبرى التي نجمت الآن ليست في اعطاء القبلات وتلقيها، او اخفات صوتها، او التغلب على اصداء سعال العجوز اللعينة. بل برزت مشكلة اهم من هذه واعمق. فقد راح الشاعر يبحث لحبيبته عن عش غرام يلجآن اليه ليخفيا عن الأعين علاقتها هذه الغرامية.

وكان جيب «موسيه» في تلك الايام فارغاً. وصرح لحبيبته بما هو عليه من الفقر والادقاع. اجل صرح بهذا لملاكه للعبته الصغيرة. لذلك التاج الابيض الوردي.

نصحته الحبيبة الصغيرة بالعمل. فراح يكتب ويكتب. ليدلل على حبه واستعار قلبه بالغرام الصادقة الوفي. وتكررت بينهما مواعيد اللقاء.

وفي شهر آب. اكتشف الشاعر، خلف «حي المجدلية ٩. شارع ترونشيه» عشاً لغرامهما. أي بيتاً صغيراً مؤلفاً من غرفتين. نظيفاً غاية في الترتيب والنظافة. «وهو جديد لم يسبق لاحد سكناه» وكان غرامهما يتزايد على مر الايام. وهناك عاش الفريد دى موسيه أهنأ ساعات حياته. دون ان يكون عرضة للعذاب او القلق. ولكن لحظات من الغيرة والشك كانت تغزو قلبه الحساس القلق، تبددها قبلات حبيبته ولم تكن تحفظ - هذه المعشوقة الصغيرة - في قلبها، شيئاً من الندم لتضحيتها هذه الكبرى. وكانت سعادتها في ان الشاعر الكبير اخذ يحب الحياة من جديد.

اجل. ان عنوان مجد «إيميه دلتون» هو انها اتاحت للشاعر عهداً من الاستقرار والمحبة والطمأنينة مما به من وهدة انحطاطه في غرام صاند، ويأسه وعذابه القديم. ولاشك ان بعض النكسات كانت تلم أحياناً بالشاعر، ومعها مضاعفاتها وظلالها من الالم واليأس، ولكن «إيميه» كانت تعرف كيف تلاشيها بقبلاتها وآهاتها.

كانت النوبات اليائسة، او القلق الممض، او الآلام المبرحة تلح على الشاعر العظيم فلا يجد غير صدر إيميه ملجأ، وهكذا كانت «إيميه دلتون»، ورغماً عنها، ربة شعره التي عادت تحتضنه بعد برودة الجو واكفهرار السموات. هذا الشاعر الجريح الذي يئست منه فرنسا. وصرخ احد اعضاء المجمع الفرنسي يوماً حين ذكر اسمه مشغوفاً ببيتين: «ليخسأ الولد الماجن» والذي كتب له لامرتين قائلا:

«أيها الفتى... يا من قلبه من شمع..»

هذا الشاعر ـ موسيه ـ ينهض الآن، كطائر الفينكس، من رماده، وينطلق في الاجواء. فقد اوحت إيميه اليه بقصيدة «ليلة اكتوبر» ولعلها من اجمل وانبل وأروع قصائده بل لياليه، تلك التي تضم شعراً زاد في غناه ألم شاعر نابغ تنعكس في ثناياه سعادة الحاضر وصور الماضي الاسيف ويغلف كل هذا نضج اين منه نضج الاعناب وأثمار التفاح في أواخر سبتمبر !!!

اما لك الآن، عشيقة جميلة؟
تمسك بيدها، عندما تغمض جفنيك؟
وهل ان ذكرى آلامك البعيدة التي عانيتها
في صباك المتاع ...
لا يحيل بسمتها الآلهية، أعذب، وأشد روعة؟

*

بهذه الكلمات الملهمة تخاطب ربة الشعر فتاها الملهم. هذه الشقراء الحالمة، الملاك والمرأة، حيث نجد خطوط «إيميه دلتون».

لقد عاد الشاعر الى غرفة عمله بعد ان محت نظرات إيميه الزرقاء ما علق في خيال الشاعر من نظرات المرأة ذات العينين القاتمتين الرهيبتين ـ جورج صاند ـ صحيح انه وجد بعض الصعوبة في استئناف العمل. ولكنه استانفه وهذا هو المهم.

*

اضطر الشاعر في مطلع شهر مارس سنة ١٨٣٨ على ترك بيت الغرام الصغير. وعرضت عليه «إيميه» ان تعينه ـ مادياً ـ لكي يحتفظا به فلم يذعن لارادتها. لانه كان يحترم رجولته ويثق بنفسه.

وهكذا شعر موسيه، بشيء كثير من المرارة، بثقل اخطائه الماضية حين كان يبدد الاموال يمنة ويسرة. ولكنه الآن يتقبل هذه المصيبة التي حلت به بصبر عجيب وفلسفة أعجب.

«إنها مشيئة القدر! ها أن الحزن ينال من طلعتك المعبودة، فماذا تقولين في سحنتي البغيضة! انا اموت في كل يوم ميتة ثم أحيا لأراك تتعذبين! بعداً لي وبعداً للنحس! ان ما يحصل لي اليوم ليس جديداً علي. اني انتظره واعجب من تأخره عني وصبره علي. والآن سأعمل خلال سنة كاملة، لأسد بعض ثقوب حماقتي التي لم تعلمي بها، والتي ليس لها اقل علاقة بغرامنا الواهب الكريم»

لقد حاولت «إيميه دلتون» أن تعصم الشاعر العظيم من الانزلاق في تلك الهاوية التي فغرت لتبتلعه... فعرضت عليه «إيميه» الزواج بها... فكتب لها يجيبها بقوله:

«أتعلمين جيداً ما تعرضينه علي؟ انك تعرضين ان استغل ذلك الألم الذي سيحدثه انفصالي عنك، لأتمتع بثروتك بطريقة دنيئة، لو كنت خليقا بها لمنعني العهد الذي مر علينا معا، فأبعدني عن مثلها!!! لا تخطئي يا حبيبتي! ولو كنت رجلا قوي الارادة، حسن الاخلاق، حديدي العزيمة، لكنت كذلك جديراً بهذه التضحية منك. ولكنني رجل جبان، شاعر، مسكين. ابكي دائماً إرادتي السلبية حين أراني هائما في كل واد. لا! انني اضعف من ان اقر شيئا عظيما كهذا: ان اكون زوجك. قد استطيع ان احتفظ ببطولتي مدة خمسة عشر يوما ... او شيئا من هذا القبيل. ثم تتلاشى عزيمتي ـ كالعادة ـ ومعها اطمئناني، تاركة الفقر والبؤس والجنون. فاذا يحدث لك! ستكفرين انت عن ذنوبي!! وهذا ما لا ارضى به فبالله عليك هلا رحمت نفسك وتركتني اجتر عذابي فلمثل هذه الليالي اليائسة الساهدة خلقت! هلا افترقنا».

*

وافترقا. ولكن لمدة وجيزة. وعلى كل حال، فلم يعودا ليسكنا معاً تحت سقف واحد. فاذا تركت مهام النشر نهاراً خالياً، لصاحب «اعترافات فتى العصر» قضاه مع فاتنته الصغيرة، ناسياً المتاعب، راشفاً من ثغرها رحيق السعادة والنسيان. وما كان يهمل ان يتندر بهذه السعادة الجوالة. فقد كان يضرب لحبيبته المواعيد حيثما اتفق ووجد مكاناً صالحاً: اليوم في غرفة من غرف الفنادق الرخيصة. وغداً في عربة تجري وسط الشوارع المظلمة، وبعد غد في حديقة احد الاصدقاء...

بل إن أحب انواع اللقاء اليها، اللقاء في المكان الاول، في غرفة الشاعر، حين كانت تسافر والدته واخته الى القرية.

وهكذا، وحتى نهاية حياته، ظل الشاعر وفياً لحبيبته الرائعة الجمال التي أعطته اكثر من قلب.

إنها أعطته نفساً جديدة، وربيعاً جديداً.

امين تقي الدين شاعر الابداع البياني

بقلم نسيم نصر
مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

☆

ما ذكرت الانطلاقة الزاخرة بالفكر المجنحة بالرواء في أدب التوجيه الحديث، في الشعر العربي، الا ذكرت الشاعر امين تقي الدين.

هذا الشاعر الذي فيه من أبي فراس الحمداني شخصية أوفى، ومن محمود سامي البارودي إباءة أجزل، ومن البحتري صورة أندى، ومن ابداعية النهضة الحديثة بيانها الانقى. كل هذه الميزات تأتلق وتأتلف في شعر الامين، لتؤلف من قوافيه شخصية شاعرة بكل ما في الشعر من معنى ومجلى لهما طابعهما الخاص المتفرد باللين في غير هلهلة وبالمتانة في غير جفاف وبالباس المعاني والصور المألوفة ثوباً من الجدة في غير تعمل او تزويق.

أدرك أمين تقي الدين الشعر، والشعوبية الحديثة مستفحلة، والعصر حافل بالاحداث، والادب ما يزال واقفاً في ابواب سجون الرياء والتقليد، فعمد الى نفسه الزاخرة بالوفاء لقومه ووطنه واصحابه، يستدفقها من معينه في اكواب من البيان المصفى.

فاسمعه يقول في قصيدته المعروفة بعنوان « في عكاظ معهد الحكمة » مدافعاً عن وطنه، الصغير بمساحته وقواه المادية الكبير بمؤهلاته الفكرية، وذلك في زمن الوصاية:

قبل إنا لم نبلغ الرشد حكما وأصاروا وصاية الغير مبدا
هل أرادوا بالرشد ان نملأ البحر سفينا ونملأ البر جندا ؟
أم أرادوا ان نقذف السم غازاً ثم ان نحصد الخلائق حصدا ؟
إن يكن رشدنا الذي زعموه فمن الرشد كوننا اليوم ولدا
ما أرى الحق في السياسة الا قوة الكل تترك البعض عبدا

لعل في هذه الابيات اعراضاً عن تنخل اللفظ، ولكن أرأيت ما ابرع هذا الاستفهام في توبيخ القوة القائمة على استحداث وسائل الافناء وعرضه الرشد تقصيراً في مدى التدمير ؟؟ وهذا الرأي الجامع مناحي الحقوق السياسية ؟؟...

ثم تعالوا نتمنى ان نألف كرامنا واكرمنا على حد قوله:

من فدى قومه كريم ولكن أكرم القوم من يحب ويفدى

وهذه المنى الضائعة، التي تعلل بها لبنان أيام محنه، يتساءل عنها شاعرنا في هذه القصيدة ببيتين هما ذروة من الابداع البياني قال:

اين منا منى على الضيم غدت أنفسا عشن والمجاعة عهدا ؟
ويحها كالزهور تضفر للعرس ويوم الاسى تكلل لحدا !

ولا اظن اميناً كان ينظر الى الزهور، في ابداعه الذي اشرنا اليه، الا بحس الشاعر المرهف يعمد الى تفاعل الحياة بين الزهور والمنى او بين مباسم الحياة في النبات والانسان.

وهاكه في مخاطبته الدكتور ويلسن، يوم انتهاء الحرب العالمية الاولى ينشد:

ثم قالوا: حق الضعيف وقالوا بعد هذا حرية الافراد
هكذا تنثر الزهور على النعش لتخفي ما تحته من فساد

أليس في نثر الزهور على النعوش، في هذا البيت، نظرة فلسفية الى بداهة زينة الجثث الموشكة ان تنتن ؟؟

ولست أعرف شاعراً آخر وُفق الى افضل مما وفق اليه في رفع المعاني المبتذلة تقريباً وتجسيد صفات الأحباب والاصحاب وإخراجها بشكل إبداعي يرتجل الروعة ويبرز فيها خصائص الموصوف في صورة ترك عليها الفن البياني اسمى ما وصل اليه.

فاسمعه يقول في رثاء الدكتور أسعد عفيش:

سلمت فارتجل الرضى وتبسما أرأيت كيف القلب يستبق الفما ؟
حياك قبل لسانه بفؤاده لما أطل من العيون وسلما

واني، إذ أحمل الى العيون هذه اللوحة المرسومة عن وجوه الخلصاء من الاصدقاء، احب الا تفوت البصيرة قوة التزاوج بين المرئيات والفكريات، في مثل قوله في رثاء الشيخ محمد الجسر:

ويا لك نجمة لمعت فغارت فصارت في فم الدنيا ابتساما !

ولا يحسن بنا ان نخرج من هذا الرثاء دون التنويه بهذا العرض الفلسفي الشامل، البادي في بيان الأمين كأنه احدى الحقائق البديهية التي تجد طريقها الى الفهم في تلمس الانسان

واقعه اليومي قال :

هل الخلد الذي نبئت عنه سوى التاريخ ينتظم الأناما ؟
خلقناه بقاء من فناء فخوف الموت قد ولد الدواما

ولعل وفاءه للأصحاب كان يعين بيانه على استكمال الفن ، ان لم يكن في القصيدة الكاملة ، ففي نتف منها ، وهذا ما نتبينه في بعض أبياته في ذكرى غبريال الشميل اذ قال آية ما يقال في وداع من تبكى محامدهم فتسير ذكريات حياتهم في مآتمهم عزاء وسلوانا .

سرنا به في يومه فكأنما يمشي على اللهفات من أحبابه
في موكب يتلو حديث حياته فمشت كذاك حياته بركابه

ولعله ايضاً تأثر في هذين البيتين بقول ابي تمام :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

ولكن اميناً فاق أبا تمام في جلال الصورة وحسنها: «فالمشي على لهفات الاحباب » أعلى في مراتب البيان من « فيض العيون بالدم ». « والمشي في موكب من سارت ما ثر حياته بركاب وداعه » أسلم ذوقاً «ضحك الأحاديث والذكر» في مأتم الميت.

واذا ما بلغت قصيدته في الشيخ عبدالله البستاني ، استاذه ، ونعم الاستاذ والتلميذ فارسا بيان ! فاعلم انك وقعت على قصيدة فريدة تتجاذب اياتها الوفاء في المعنى والخلق البياني في المبنى. ولكي نقدم منها نموذجاً للتقدير نجتزىء قوله :

لبست عباءة البدوي تزهى بها حتى بززت من ارتداها
ووشتها علوم اليوم وشياً كأن سناءه من كهرباها
وقد أحييت لنا العصر الخوالي روايات أجلك من رواها
كأنك كنت رافائيل فنا تضيف لفنه لغة وفاها
رأى فأجادها صوراً ومعنى واستاذي أجاد وما رآها

فهذا الجمع لاستاذه بين البز بفصاحة العرب وعلوم العصر وهذه الحياة التي بعثت عصوراً ممثلة كأن بستانيها فاق رافائيل النحات الاشهر فريدة فن . فالنحات الايطالي أجاد التماثيل بكنها مأخوذة عن رؤية اصل ومعلم الأمين أبدعها حية ناطقة دون ان يشاهد اصولها .

وفي عصماء سابقة رأى استاذه ، وقد بلغ السبعين، محدودب الظهر فجعل من انحناءته رزانة ومن سبعينه عظمات ، في تشبيه هو من حلي البيان قال :

كان المجد أثقل كاهليه وناء بحمله فمشى رزينا
فما السبعون تحنيه ولكن هي العظمات ندعوها سنينا

اظنني ظلمت أمين تقي الدين بعض الظلم من حيث أردت انصافه اذ اكثرت من عرضه راثياً مادحاً ، لان المديح والرثاء ، مهما سما قدرهما ، لا يسموان ، في نظر كثير من الشعراء والادباء والاساتذة النقاد الى مراتب الخلود اذا قصدنا بهما حاجة الادب الخالص في بيان الشعر ، لذلك اتحول باليسير الباقي لاقدم شاعرنا شعلة من الاباء فاسمعه يقول في رائعة له في يوم خلع مليك مشهور المظالم ، وقد أبت النفس الشاعرة ان يبكي صاحب العرش المفقود :

عذيرك هذا الدمع لو ان في البكا سوى الذل فاربأ ان تذل لترحما
من التاج من ذل الدموع فانني رأيت إباء النفس للتاج اكرما
ومن نكد العرش الذي انت تارك على الرغم ان تبكي وان تتظلما

ثم اعود لاقرن الاباء بالوفاء زينة الخالدين في سائر مناحي الخلود فاردد قوله :

امتي امتي ونفسي نفسي فحياتي لامتي وبلادي
ان دعوت البيان لبى بياني او دعوت الوفا فهذا فؤادي

واذا ما تحرك في ذاته البر بوطنه لبنان وشاء ان يمازج جمال الموضوع جمال البيان هتف في نشيده الخالد :

الله ، يا لبنان ، ما أجلك ! وأروع الشيب الذي جللك
بين يديك الملك في جاهه على الثرى او عزه في الفلك
زهيت بالتاج فيا تأتلي تودع النور كما استقبلك
في بهجة الماس قبيل الضحى وروعة الياقوت عند الحلك
تقبل الشمس ضحوكا لها ويضحك الفجر متى قبلك
سبحان من خبأ فيك الصفا وسل من قلب الصفا جدولك
انت نعيم الله في وعده مثلت بالنعمة من مثلك

واذا ما شاء ان يستعرض لك الدهر ولبنان رفيقي خلود قال:

مشى مع الدهر وأجياله يكلأه الله ويرعاه
وتقرأ الدنيا اساطيرها مدونات في حناياه
مسلسلات قصة قصة كانما الاوراق أفواه

هكذا كان امين تقي الدين يحس لبنان فيرى الدنيا تقرأ أساطيرها بأفواه أوراق الارز ، متمثلا تلك الاساطير مدونة في حنايا لبنان !... أليس هذا الحس غاية قصوى في البر بالوطن والسمو بالشعر ؟!

ولكن الامين لوطنه واصحابه ولرسالة الشاعر لم يطل شدوه فودع العمر والاماني بلهفة أطلقها في قصيدة لم يمهله الاجل لاتمامها قال :

لهفي على العمر والاماني ولست كما أقبلت ملاحا
خبأت يا ليل فيك همي يا ليل من خبر الصباحا ؟!

نسيم نصر

في موكب القمر

للدكتور علي سعد

من اسرة الجبل الملهم

طال اسهادك الدجى وسهادي وتجليك في ضمير السواد
تتهاداك راحتا الأفق شوقاً كالدمى في أنامل الأولاد
طال حتى حسبت أنك شيء من بقاء الآزال والآباد
رصد أنت ؟ فوق أبواب كون يتولى وعالم متمادي
أم تراك المرآة يحملها الليل على كل غيهب ميّاد
تتمرى عرائس الجن فيها عاريات معربدات صواد
أي دنيا تطل من بين فوديك رموزاً وأي غيب ينادي
يا عشيق النجوم ! ما للدراري يتغامزن باللمى والسواد
يتضاحكن ان مررت ويرقصن شهي الارداف والأجساد
اي عذراء جئن يزففن اليك الصباح ، غب الرقاد
فسجا الليل من غدائرها في ذهب رائح وطيب غاد
جهد الليل باحتضانك فارتد جريح الاعطاف والاعضاد
واستعاذ العشاق منك رقيباً وقح الظل ماكر الارصاد
رهبوا القهقهات في طرفك الساخر والريب والظنون العوادي
قم تغلغل في مقلتي وأدلج في حنايا جوارحي وفؤادي
يخضل الجدب في صقيع اماني ويزه الهشيم في اعوادي
نحن في الارض يا هلال غريبان وان هش حولنا كل نادي
نحن الفا السأم طي وجود ضاق في كل وثبة للمراد
ضاق جفناي بالحدود وملت راحتي من ملامس الاصفاد
وبجنحي رعشة من حنين لمراقي المجهول والابعاد
هم بنا في المدى السحيق طليقين وراء الشعرى وعبر السواد
نتأرجح على السهى ونجاوز لا تناهي الوجود والأبعاد
وابلغن بي حشاشة الله اقبض من يديه على نواصي العباد
فأروي كل الخلائق بالحسن وأعطي الوهتي وفؤادي

قصة

معلم القرية

بقلم نسيب الاختيار

ها هوذا لم يعد حتى هذه الساعة المتأخرة لقد اقبل الليل ونامت العيون فلا نأمة ولا حركة كأنما اطبق السكون على كل شيء والقمر الموشح بالنور قد استراح الى هدأة حالمة ، اما انا فلم أزل ساهرة وحيدة ارقب وانتظر ، والقت نظرة حزينة على اولادها وقد اخذوا باعناق بعضهم بعضاً وناموا مثل كومة مهملة او غرارة منبوذة ، فامسكت بستار خلق مهلل واسدلته عليهم برفق ودست في الموقد قطعة من الوقود فقد كانت الليلة باردة قارسة والغرفة خواء يعصف في ارجائها الهواء، والقنديل الباهت الحزين يتثائب ويتمطى فلا يلقي حوله الا نوراً متقطعاً متراخياً ضئيلا ، ولما آوت الى الفراش ذكرت ذلك الزوج الذي تركها ولم يعد ، والنظرة القاسية الباردة التي رماها بها وهو يغلق الباب ، فكرت بها الخواطر الى الماضي البعيد فقلبته صفحة صفحة ولوحة لوحة ، كرت بها الخواطر الى ذلك الماضي السعيد ، وكيف كان يقبلها كلما غادر البيت الى المدرسة وكلما عاد من المدرسة الى البيت ، وكيف كان يحدب عليها كلما شاهدها منصرفة الى اعمال المنزل وشؤون الاولاد ، وكيف كان يجلس اليها ويروي لها القصص والحكايات ليخفف عنها وطأة غربة القرية. ذكرت كل هذا وهي في وحدتها المريرة فانحدرت دمعة فوق خدها البارد الشاحب. تزوجت منه وهي فتاة غريرة لم تعرف الحياة ولم تخبر الدنيا ورضيت بالغربة وفراق الاهل اذ كان لا بد لفتاة مثلها من النزول على ارادة والديها ، هذه هي مشيئة العرف وارادة التقاليد، ولما زفت اليه وجدت فيه رجلا انيس المعشر فاستقبلت حياتها الجديدة بقلب مفعم بالامل زاخر بالرجاء ، فقد خيل اليها وهي في مستهل الحياة الزوجية ابان كانت العواطف مضرمة والمشاعر محتدمة ، ان الحال سيمضي على هذا المنوال ، وان الزوج والاولاد والبيت جنة الله فوق الارض والغاية القصوى في هذه الحياة الدنيا، ولكن العاطفة الاولى ما لبثت ان خبت مع الزمن شيئاً فشيئاً، واستحال ذلك الغرام الذي كان يؤججها الى رماد، فقد راح الزوج يتبرم بالبيت والزوجة والاولاد، اذا عاد اشاح بوجهه عن الزوجة وتهرب من العطف الذي تبديه نحوه ، لا بل انه اعتبر هذا العطف ضرباً من ضروب التهالك المبتذل الرخيص، وانتهر الاولاد وضربهم وزجهم في غرفة صغيرة ضيقة مظلمة لاقل هفوة وادنى سبب، وانتحى ناحية قصية وجلس لوحده اما ليفكر واما ليطالع كأنما هو في صومعة منفردة نائية فلا انيس ولا جليس.

ومع كل هذا لم تنقم عليه زوجته اعراضه عنها وفراره منها ، ولا تحامله على اولاده وزجره لهم بشدة لا لين معها ولا هوادة فيها ، وكانت تقدم اليه في اواخر كل شهر ما ادخرته من مال يسير مفضلة اياه على نفسها ومؤثرة جيبه على جيبها ، فقد كانت امرأة طيبة القلب مؤمنة بالقدر والحظ والنصيب .

وذكرت والدها وكيف كان يعطف على امها وعلى اخواتها، وكيف كان المثل الحي للرجل الذي طالما تاقت الى رجل مثله . وبينما هي مستغرقة في هواجسها القاتمة ، اذ بصرير الباب يرن في اذنيها فتظاهرت بالنوم وتمتمت « لقد عاد » وعلى وقع خطاه اسبلت الجفنين وفي احناء القلب خفقة حب .

ودخل الزوج الغرفة في تؤدة وخفوت ، فالقى نظرة على ما حوله، كانت الغرفة ساكنة هادئة لا تسمع فيها غير الانفاس المصعدة ولا يسمع فيها غير خيط من نور لهب الموقد، فمضى الى فراشه وهو يسترق الخطى، فقد كانت هذه الليلة هي الليلة الاولى التي يتأخر فيها الى مثل هذه الساعة، ولما اندس في الفراش وبخه ضميره وأنبه ، وشعر بانه ارتكب أمراً اذاً وانه اقترف جريرة فظيعة، فما كان لرجل مثله ان يترك البيت ويأتي اليه في ساعة متأخرة ، وان يهجر زوجته واولاده ويتركهم وشأنهم كأن سكان البيت لا تربطه بهم رابطة ولا تؤالف بينه وبينهم صلة. ولما اثقله وخز الضمير ، هتف في سره : ترى ما الذي اقترفته وما الذي جنيته ؟ اليس من الظلم وأد الحياة في هذا الوكر لا لشيء بل لان العرف والعادة والتقاليد حكمت علي بالارتباط بمخلوقة تدعى زوجتي وباطفال يسمون اولادي؟؟؟ لقد تزوجت تحت تأثير رغبة واحدة رغبة الخلاص من وحدة القرية ، يا لله ، ان رغبة واحدة تكفي لضياع الانسان .

ونبا به مضجعه ، فتقلب فوق الفراش وردد في سره ! لقد منحتني ما تمنحه المرأة الرجل واستنفدت كل ما لديها من بضاعة واصبح كل ما تعرضه تافهاً مبتذلا، انها امرأة يعوزها التجدد وهي لا تعرف للتجديد معنى ، لا تعرف غير الأولاد والمطبخ.

كأن لا شيء في الحياة الزوجية غير هذين الامرين ، وهؤلاء الاولاد الذين جعلوا من البيت مدرسة كأن حياتي كلها مدرسة. الاولاد هنا والاولاد هناك ، يا لله لقد تلبستني شخصية «توباز» وها انا ذا الآن اذهب واعود مثل آلة ميكانيكية لا هم لي الا قبض الراتب في آخر الشهر. لقد فقدت شخصيتي ، لم اعد ذلك الرجل الذي يقدم على التدريس برغبة المعلم الصادق ولا انظر الى اولادي نظرة الاب الحنون ولا اطرق البيت كما يطرقه الزوج الامين . ولما ذكر زوجته لعن الساعة التي قيد فيها نفسه بالزواج ، ومرت بخاطره كلمة بيرون « يخرج الزواج فاسداً من الحب كما يخرج الخل من النبيذ» فآمن بكلمة بيرون وقال لقد اصبحت الآن مثل الخل وما علي الا تجديد حياتي .

وطافت بذهنه حياة بيته الاولى وكيف كانت امه لا تعرف لها دنيا غير دنيا والده ، وكيف كانت تنثر المرح والسرور والغبطة في ارجاء البيت ، فقد كانت امه في نظره المثل الحي للزوجة التي تعرف كيف تجدد الحياة ، ولما قارن بينها وبين زوجته شعر بالفارق الجسيم بين المرأتين .

وردد في سره : لقد اصبت بارتمائي في احضان ممرضة القرية العزيزة ، ولاحت له صورة الممرضة مغرية فاتنة ، فاستراحت نفسه الى حلم اليقظة ، وعلى انغام هذا الحلم استسلم الى غفوة ناعمة لطيفة ، ولما تنفس الصبح ارتدى ملابسه بخفة ورشاقة وعناية غير مالوفة وترك الغرفة بينما كانت زوجته تراقبه بنظرة مختلسة. مضت الايام تباعا والزوج لا يعود الى البيت الا في ساعة متأخرة ، يدلف الى الغرفة بسكون وهدوء ويأوي الى الفراش بخفوت ويغادر البيت الى المدرسة في ساعة مبكرة.. دون ما كلمة ودون ما تحية ، ولم تشأ الزوجة التحدث اليه حرصاً منها على هذا الخيط الضئيل من الصلة الشكلية لئلا ينقطع ، واملا منها بعودته الى سابق عهده الى ذلك العهد الذي كان يرف عليه الوئام بدلا من الخصام والبشر بدلا من التجهم ، ولما اسرف في انصرافه عنها وعن الاولاد والبيت ، لم تجد مندوحة من التقرب اليه فقد خيل اليها ان كبرياءه يمنعه من التوجه اليها بعد تلك القطيعة التي طال عليها الزمن ، فلم تجد افضل من التقرب اليه هي نفسها حتى تضع حداً لهذه المأساة الاليمة . وهكذا ارتدت احسن حلة وتجملت بافضل زينة ، وجلست ترقبه بقلب واجف وامل لم يشرق فجره منذ امد بعيد ، فلما عاد استقبلته بثغر باسم ورحبت به وقدمت له الطعام والشراب ، وخف اليه اولاده الذين اكرهتهم امهم على

السهر حتى تلك الساعة المتأخرة ، فزجر الاولاد وتنحى عن المائدة ودلف الى فراشه ، ساور الدهش الزوجة ولكنها لم تقنط فاخذت بيد الاولاد الى السرير ورفعت المائدة وقالت : انا لا انتظر منك شيئاً ولكن الاولاد يهتفون باسمك صباح مساء ، كن لهم وحدهم على الاقل اذا كنت لا تريد ان تكون لي .

وبصوت متهدج راحت تتحدث اليه ، وهي بالقرب من فراشه وتقربت منه قليلا قليلا ورقدت الى جانبه ، والى اذنيه حملت تراتيل الحب واغاني القلب ، ولما طبعت على ثغره قبلة ، جمدت القبلة على شفتيه وصاح : ألم اقل لك دعيني وشأني ... وفي الليلة التالية لم يعد الزوج الى البيت ، فلم تسهر الزوجة ، حتى انها لم تكلف نفسها اعداد اي شيء له ، فقد شعرت بغريزتها النسائية ان هنالك في الافق امرأة اخرى ، وان الثغر الذي قبلته كانت تعبق منه رائحة قبلة غريبة ، وان شفتي الزوج فقدت ذلك الاحساس القديم المرهف ، حتى ذلك الجسم الذي كانت تضمه اصبح غريباً عنها بعيداً منها ، ولما تعالى صوت الاولاد ضربتهم وهي التي كانت ترد عنهم خفق النسيم. ولما جاءت الليلة الثالثة لم يعد ايضاً ، ادركت انه ذهب ، وان تلك المخلوقة التي طلعت عليه قد سلبته منها وانها لن تراه ولن تحظى برؤياه ، ومع هذا كله كانت تبكي في سرها كلما ضربت ولداً من اولادها ، كانت تبكي كلما هتف الولد باسم ابيه ، وهكذا مضت الايام تباعاً والاب الضال لم يعد الى البيت. ماذا عساها تصنع ، اتذهب الى المدرسة وتمسك بتلابيبه امام المدير والمعلمين والتلاميذ وتفضح امره وتهتك سره ؟؟؟ لو انها فعلت ذلك لما أساءت الا الى نفسها والى اولادها ، اتتركه وشأنه يسرح ويمرح على هواه ؟؟؟ ان هذا الامر لا تقوى على احتماله امرأة تعرف ان هنالك امرأة اخرى تسلبها الرجل الذي وقفت عليه حياتها وطعنها في اقدس حرماتها ، وتحت تأثير هذين العاملين المتضاربين كانت تقضي لياليها الطوال. اما الزوج فقد شعر بانه تحرر من القيود التي ربطته بالزوجة ، وبانه يعيش حياته كشاب لم يزل بعد متدفق الوجود بالحرارة والنشاط ، وبالرغم من ان الممرضة ما كانت اجمل من زوجته ، فقد كان يطيب بعشرتها ويستريح الى مجالستها إذ كان يجد فيها شيئاً جديداً ليس في مقدور زوجته منحه اياه .

كانت الصلة المختلسة تبعث فيه نشوة حلوة جارفة وتوقظ في كيانه زهوة الفتوة وسناء الشباب حتى القبله التي كان يطبعها على ثغر الممرضة كانت حافلة بالاسرار التي لا يحظى بها الانسان

الا في احلام مخدرة مجنحة. وفي ظلال السكون وهمسات الجفون كان يشعر بانه في واحة من واحات الخيال السادر في عالم اللانهايات، أين منه دنيا البيت الزوجي من هذا البيت ؟؟؟ ذلك البيت الذي يؤوب اليه من المدرسة وفي اذنيه صراخ الاولاد فلا يسمع فيه غير صراخ الاولاد ؟؟؟ وتلك الزوجة التي لا تعرف غير منح الذات منحاً رتيباً عادياً لا لذة فيه ولا متعة معه ؟ بلى اين هذا كله مما هو فيه الآن لقد تحرر ومن حقه التحرر اما الزوجة فما عليها الا المكوث في كسر البيت ؟

ان المرأة التي تلد وتنجب، لا تصلح لرجل ومن الظلم ربط مقدرات رجل بامرأة، والقى نظرة على صدر الممرضة الناهد وجسدها الملتف اللدن وثغرها المتفتح، فطابت نفسه بهذا المرنى الجميل والقى برأسه على صدرها ونام كما ينام الطفل.

***

أقبلت اليه وهي ترفل في غلالة رقيقة سوداء تشف من مفاتن جسم ناصع البياض والشعر الاسود الفاحم مبعثر منثور وفوق الصدر اشرأب نهد، اما الاجفان فقد كانت نصف مغمضة تبدو من خلالها نظرة وسنى، وعلى الشفتين تلوب قبلة، اما المشية فقد كانت اشبه ما يكون بايقاع موسيقى والهة محتدمة مثل ذلك الايقاع الذي يوحيه لحن « البوليرو »، ينسل كما تنسل الرقطاء في سكون ولين، ولما تملى المعلم هذا المنظر المتحرك الذي يدلق اليه سرت في كيانه نشوة تملكته حمى، كانت تلك المخلوقة التي تسعى اليه مثل عروس من عرائس الاحلام انبثقت من ضباب التصور وانبجست من اوهام التأمل، هي سبحة من سبحات الفكر وخاطرة من خواطر الشعر، لم تكن رمزاً لما يصبو اليه بل حقيقة حية تدرج فوق الارض، توحي وتغري ثم تسبي وتغوي، فبسط اليها ذراعيه وفي عينيه وميض تائه مشرد، ولما لمسها اضطرب وارتجف، وباحساس مبهم احساس انسان يشاهد شيئاً فوق عالم المعقول يخشى ضياعه ويخاف افلاته، امسك بها وضمها اليه، ثم ارتد قليلا الى الوراء وراح يمر كفه امراراً خفيفاً ناعماً على شعرها الاثيث وخدها الناعم، واخيراً وجد رأسه بين القدمين، وبحنان ام ورفق أخت امسكت به وجذبته اليها. كانت الحركات تعبر عن اعمق ما يضطرب في القلب، كانت النظرة المبهمة واللمسة الناعمة والبسمة الحالمة، بلى كل هذه الاشياء كانت تلتقي مع بعضها بعضاً وتتعانق في صمت ثم تتلاشى في غيبوبة متهالكة سكرى، ولم يقدرا الزمن وهما في هذا الفناء العميق، فقد خيل اليهما ان الزمن توقف عن السير، في الوقت الذي كان فيه يعدو حثيث الخطى، ولولا تلك الخيوط من النور التي اخترقت السجف لنسيا الدنيا وكل ما فيها، كان كل واحد منهما في ذلك الوقت الوجود بأسره، لا بل ان الدنيا لم تكن متحدة الا فيهما وحدهما دون سائر الناس اجمعين وهكذا اصبح كل واحد منهما كلا موحداً ينظر الى الدنيا نظرته ويرى في العالم طلعته.

ولما غمرتها الانوار هتفت في اذنه : وانت يا ابن الصباح الما تفق بعد ...

***

على هذا اللون الناعم اللطيف عاشا معاً، يذهب المعلم صباحاً إلى المدرسة كما تذهب الممرضة الى المستشفى، ثم يلتقيان مساء في وكر الحب اما الزوجة فقد ظلت في البيت لا تغادره ولا تزايله، فقد ادركت بعد علمها بصلة زوجها بالممرضة، انها لم تعرف الاحتفاظ به وانها وحدها المسؤولة عن ضياعه، واذا قد زلها هذا الخطب فما عليها الا الجلد امام النكبة، فقد كانت تشعر من اعماق قلبها بأن زوجها سيعود اليها واذا لم يعد اليها من اجلها وحدها، فمن اجل الاولاد على الاقل. وان النزوة التي تحكمت به نزوة عارضة لاتلبث ان تخمد، وليس عليها الا تحمل ما نزل بها بروية وأناة، ما دامت ترقب الوصول الى الهدف الاصيل، اما الرغبة الجامحة المندفعة فلن تبوء الا بالفشل، وما عليها الا الجلد، والزمن وحده كفيل بتحقيق ما ترجو وتأمل، وكانت الزوجة تعجب من هذه الافكار التي تساورها، والتي ما كانت تطرق مخيلتها في يوم من ايام حياتها.

ولكن التجربة القاسية هذبتها، فلم تندفع وراء حوافز الغيرة، بل استجابت الى صوت الامومة الى صوت البيت ونداء الاخلاص، وخلع هذا الاحساس الجديد على قسماتها مسحة رقيقة ناعمة، مسحة الجمال الحزين والكبرياء الدفين، ولم تعد تضرب اولادها وتنتهرهم بل راحت تعنى بهم وترفه عنهم، وشعرت بان الحياة الزوجية ليست هذا الشيء الذي يقتصر على سرير الزواج والعناية بالاولاد واعداد شؤون البيت، بل هي شيء آخر، يتطلب من المرأة ان تكون اختاً وأماً وزوجاً في وقت واحد لاسيما اذا كان الرجل مثل زوجها يعلم في مدرسة حيث يقضي نهاره بين اولاد المكتب ثم يعود لقضاء ليله بين اولاد البيت، ان مثل هذا الرجل يحتاج الى افق جديد يجعله

في نجوة من افق العمل ، يحتاج الى امرأة تجلس الى جانبه لا لتعكف على رتق الثياب بل لتبعث فيه النشاط والشباب .

جاء الربيع وتفتحت اكمام الزهر ، وعبقت الدنيا بالعطر ، وانسابت الحياة في حفيف خفيف، وسجو ناعم لطيف، واستيقظت المشاعر الراقدة الراكدة ، فاذا بكل شيء في عالم الطبيعة ينضو عنه سجف الكآبة القاتمة ، ويدعو الوجود الى تملي مراني الوجود ، كأن كل شيء في هذا الفصل يهتف ويغرد ، فالارض الفواحة العبير والساقية الموسيقية الخرير، وأفق القرية المستنيم الى اصوات الطيور المتنقلة من غصن الى غصن ، والمستريح الى وقع خطوات القرويات وهن في الطريق الى الغدير ، والاولاد يلعبون ويسرحون فوق البساط السندسي الاخضر، بل كان كل شيء في ذلك الفصل يبعث زهوة الفتوة ويجدد الحياة ، ويلهم اسمى ما تحلق في آماده التصورات، ولم يكن في القرية غير مخلوق واحد يشاهد كل ما يقع تحت متناول نظره ثم يرتد بطرفه وقد اسبل جفناً كسيراً ، كانت دنيا هذا الفصل غير دنياه. كانت دنياه في اعماق قلبه مدفونة موءودة تلفعت بكفن اسود فغشي السواد العين ، فحال لون الربيع واكفهرت معالمه ، وارتدى كل مظهر من مظاهره حلة مأتمية ، واقفرت الارجاء كما تقفر مقبرة مهملة منسية ، كان هذا المخلوق الميت الذي يسير في عالم الاحياء هو تلك الزوجة المنبوذة الزوجة التي تسير كتابوت حي، تمضي ومن حولها اطفالها الثلاثة كهالة من نور ، يشاهدون الاولاد وهم يسرحون ويمرحون، يرف الواحد منهم كالطير ثم ينطلق وينطلق وقد عدت اثره اسراب من الاولاد ، فاذا استيقظت في الواحد من هؤلاء الاولاد الثلاثة نزوة الصبا كظم النزوة وطواها في نفسه ، فقد كان يشعر باحساسه الغريزي الغرير الساذج، بان دنياه غير هذه الدنيا ، انها هنالك في صدر أمه المغلق ، انها هنالك وراء السر المحبوس في قفص الصمت العميق . كان الواحد من هؤلاء الاولاد الثلاثة يحس احساس اليتيم ، كان يحس بانه ليس من حقه تملي الربيع ولا استنشاق العطر ولا تملي الزهر ، حتى ولا الانطلاق مع الاولاد فوق الارض الفضاء .

كانت نظرة الواحد منهم لامه تكفي لرده الى واقع ذاته ، ذلك الواقع الزاخر بمختلف الهواجس الحزينة والخواطر المضطربة الأليمة ، وكانت حياة الزوجة الصابرة المتقشفة موضع عطف سكان القرية، فقد صب السكان نقمتهم على الزوج والممرضة، وراحت النساء تصم الممرضة بكل منكر فاحش وتكيل لها الشتائم والسباب ، كانت الممرضة في عرفهن وحدها المسؤولة. ولو انها لم تقف في طريق الزوج لما ترك بيته وهجر زوجته ، وراح القرويون يعزون الى الممرضة كل محل او قحل ينزل بالارض، فهي بتهتكها السافر حرمتهم من نعمة السماء وجرت عليهم القحط والبلاء .

هذا والزوج والممرضة في غفوة سادرة لا يلاحظ الواحد منها النظرة الشزراء، كأنما غشيت ابصارهم غشاوة كثيفة وأهمل المعلم واجباته المدرسيّة ، يأتي الى المدرسة في ساعة متأخرة ويغادرها قبل الأوان ، لا تدريس ولا تعليم لا شيء الا مراقبة الطلاب .

كما اهملت الممرضة شؤون المستشفى فلا عناية بمريض ولا حفاوة بطلب ، وهكذا غرقت المدرسة كما غرق المستشفى في فوضى لا أول لها ولا نهاية .

ولكن الزمن ما لبث ان مد اصابعه الى وكر العاشقين فقد اخذت حمى الغرام تضعف وتهبط، وفقدت الفتنة الاولى حرارتها فالقبلة المتفتحة اصبحت قبلة عادية نظير اي قبلة تطبع على ثغر ، والنظرة المتوقدة الجارفة انطفأت وخبت ، والشيء الجديد الذي اخذ المعلم عن نفسه ، ما لبث ان استحال الى شيء كز تافه لا رواء له ، اصبحت الممرضة مثل الزوجة في نظر المعلم متعة دخلت في دور الاجترار ومرحلة حياة وقفت على باب الاحتضار.

ولاحظت الممرضة التحول الجديد الذي طرأ عليه فمنحته من ذات نفسها اكثر مما كانت تمنحه من قبل ، لا بل ان الامر وصل بها الى التبذل الغارق في الحضيض والرجس والرغام ، ظناً منها ان مثل هذا الامر يفضي الى الاحتفاظ به والتمسك بالحب الذي قاربت شمسه الافول ، ولم تدر ان مثل هذا التبذل في عين الرجل ليس إلا بدء منزلق المرأة نحو هاوية الاعراض والاحتقار والكره ، فكانت كلما اسرفت في تبذلها كلما دفعت بنفسها نحو شفا جرف تلك الهاوية ، وبدأت مظاهر الاعراض بقضاء المعلم معظم ساعات الليل خارج البيت كما بدأت مظاهر الاحتقار بالصدوف والعزوف ، واخيراً انتهى به المطاف الى المرحلة الأخيرة ، مرحلة الكره . شعر المعلم بان حياته معها لم تعد مطاقة وبانه يعيش في جحيم لاهب ، وبان كل حركة من حركاتها وكل سكتة من سكتاتها هي سوط أليم ، فهجر البيت وسكن الفندق وفي هدأة الليل كانت افكاره تكر به الى الماضي الى البيت الاول بيت الزوجة والاولاد .

دمشق — نسيب الاختيار

الى صغيرتي

نجوى ـ عفاف

*

لرياض معلوف

ولدتِ فذكرتني مولدي فأنت حياتي وأنت غدي
فيا أخت أمك بالحسن ـ أهلا وسهلا ـ تعالي بعيني ارقدي
أضمك مستبشراً ضاحكاً ـ كأنك قلبي فويق يدي ...
فأنت قصيدة عمري نظمتك والله من شعري الأجود
وسميت نجوى ـ عفاف فكوني كأمي بأخلاقها واسعدي
لك البيت ملهى فكرّي وفري بكل النواحي ولا تقعدي
ولا تبقي شيئاً على حاله نهاراً وليلا ولا تحردي !
فداؤك ما أقتني في الدنى وما حزت في الشعر من سؤدد ....

✡

غرق

*

لصفاء الحيدري

بغداد

سأرجع ، لا ، ليس بي رغبة الأمس ، بوهمي هدهدتها
تغرغر في جفنها دمعة يشدّ على خافقي صمتها
وتعتصر الروح من جهشها أكف يشنجها موتها
تحشرج في ناظري الرؤى شتاتاً ، بماضي لملمتها

***

سأرجع ، لا ، ليس في أمسنا سوى حفنة من هوى مهمل
تطل على الغد من ركنها البعيد ، بزاوية المأمل
فتنبصق النار من ناظريّ وتمتصني الأرض من أرجلي
وبي غرق الدود في جثة تعرت بأمواجه تمتلي

ميريام

او التجربة الاولى في حياة الشاعر د. ه. لورنس

بقلم جلال فاروق الشريف

كان لورنس في السادسة عشرة من عمره عندما رأى ميريام للمرة الاولى في المزرعة التي تعيش فيها اسرتها الفقيرة وذلك عندما رافق امه لزيارتها . بدت له ميريام على عتبة البيت بمئزرها المتسخ صبية تناهز الرابعة عشرة سمراء وردية، ذات عينين سوداوين ، وجدائل قصيرة فاحمة تتماوج دون انتظام .

وكان في طبعها جفوة من الناس فتوارت وقد كدرتها رؤية الغرباء . وحاول بعد قليل ان يحدثها في الحديقة عن الازهار والورود غير انها نفرت منه ، ولم يتصل بينهما شيء من حديث او ينمو بينهما شيء من الالفة الا عندما اخذ هو واخوتها يطعمون الدجاج في راحات ايديهم ولم تجرؤ هي على ذلك ، فاقترب منها وبادلها الحديث وشجعها فانست اليه قليلا وزال بعض ما بها من نفور ، وكان في هذا بداية اول صلة للورنس بفتاة ، ومقدمة لاول تجربة عاناها هذا الشاعر الملتهب الذي ملأ القرن العشرين تمجيداً للحب وتقديساً لرابطة الجسد .

كان هذا هو اللقاء الاول ولم يلتقيا ثانية الا بعد قرابة عامين ، فقد توفي خلالها شقيقه الاكبر وظل هو طريح الفراش اسابيع وشهوراً طويلة. كان ابوه عاملا في منجم ، واسرته المؤلفة من امه وابيه واخته الصغيرة وشقيقيه الاكبر والاصغر تقطن في شبه قرية قرب مناجم الفحم التي يعمل فيها ابوه . اما هو فكان نحيلا يانعاً ابتدأ يعمل منذ الخامسة عشرة في مشغل للمطرزات ، يترجم لصاحبه رسائله بالفرنسية التي يتقنها ، ويرسم له الصور ويضع التصاميم لتصنع وفقها المطرزات . كان يسير كل صباح عدة اميال ليصل إلى اقرب محطة للقطار تقله الى مدينة « نوتنجهام » حيث يكون مقر عمله ، ثم يعود في المساء ليجتاز المسافة نفسها كي يدرك البيت .

لم يكن له من سلوى الا في ان يرسم ويتأمل الطبيعة كل يوم في غدوه ورواحه، اما صلاته بالآخرين فلا تتعدى ذلك الحب العميق الجارف الذي يكنه لامه التي كانت له كل شيء ، وكان لها ركنا تفرغ فيه حبها وحنانها بعد ان كرهت ذلك الزوج العربيد ، وبعد ان مات ابنها البكر الذي كانت له المنزلة الاولى في قلبها .

عاد ليجدد الصلة بمزرعة آل ريفرز التي تبعد عن بيته ستة اميال ، واخذ يقصدها كل مساء عند عودته من عمله ، فيقضي الامسية في سمر مع الام وابنائها، يحدثهم الاحاديث المختلفة ويطلعهم على الكتب التي يقرأها ، ويروي لهم الشعر ويرسم لهم اللوحات والصور .

كانوا يرون فيه شخصاً متفوقاً على حداثة سنه ، عالماً بالقياس الى الثقافة البسيطة التي يتمتعون بها . وغدا محور

> احبت فيه روحه وكرهت كل شيء آخر اما هو فقد احبها واراد منهاحبا حيا بالروح لوالجسد ولم تكن قادرة عليه وطال قلقهما وترددهما . واقبلا على التجربة غير مبالين فتحطم كل ما كان بينهما

* منتزعة من قصة عشاق وابناء للورنس وقد ذكر فيها قصة حياته وطفولته وغرامه الاول تحت اسم «بول مريل» .

حياة الابنة مريام التي تعلقت به تعلقاً والهاً لا يلين او يهدأ . كانت لا تجرؤ على الاقتراب منه لانها تخشى ان يزدريها فهي اشبه بالخادم التي تقوم باعباء المنزل باجمعه . وكان اخوتها يزدرونها ويضطهدونها فهي المكلفة بان تهيء لهم طعامهم وشرابهم وتهتم بشؤونهم كافة . غير انها كانت الى جانب هذا تنبض بالحياة المتدفقة الحارة وتسبح في حلم رائع دائم، فتتملى الطبيعة وتغرف من جمالها ، وتتأمل كل شيء حولها لتسبغ عليه من نفسها حياة جديدة . كان المساء بالنسبة اليها مبعث وحي ، والغروب تحياه في شبه صلاة .

كانت لها نفس شاعرية وروح خيالية روائية ، فامام عينيها تخفق دائماً صورة لاحدى بطلات « والترسكوت » التي يقع اسير هواها النبلاء من حملة السيوف وابطال المعامع . انها تتخيل نفسها اميرة متنكرة في زي راعية لقطيع من الخنازير وتخشى اشد الخشية ان تخدع المظاهر هذا الشاب الذي يجيد الرسم والفرنسية ويعرف المعادلات الجبرية ، والذي يشبه بطلا من ابطال روايات والترسكوت ، فلا يستطيع ان يتبين حقيقة هذه الاميرة الكامنة في ثياب راعية الخنازير .

كانت رفيقتها الكبرى هي امها ،فلون عينيها واحد ، وكلتاهما تجنحان الى نوع من التصوف ، فهما من ذلك النوع من النساء الذي يدخر في اعماقه كنزاً من الايمان الحار ، تغرقان فيه انفاسها ، وتريان الحياة من خلال ضبابه .

على هذا النحو كانت حياتها الحقيقية، فهي تمقت وضع راعية الخنازير الذى تتخيل نفسها فيه ، وتود ان لو يرد لها اعتبارها فتبجل وتحترم وتظفر بمنزلتها التي تليق بها . انها تطمح الى ان تتثقف وتتعلم ، وتعتقد ان لو اتيح لها ان تقرأ بالفرنسية مثلا قصة «كولومبيا» او «رحلة حول غرفتي» فسيتغير كل شيء وسيعاملها الناس جميعاً بالاحترام والاجلال . انها لا تملك مالا او منزلة في المجتمع كي تكون اميرة ، لذلك فهي تود ان تتعلم وتزيد في ثقافتها كي يكون لها هذا بمثابة مجد تعتز به . انها تفترق عن الآخرين ، والمعرفة هي الميزة الوحيدة التي تستطيع اكتسابها والاعتزاز بها فجمالها الوحشي النافر النابض بالحساسية ليس شيئاً يذكر بالنسبة اليها ، وكذلك روحها المغرقة بالخيال لم تكن لتكفيها ايضاً، انها تود شيئاً يدعم غرورها لانها تحس بانها متميزة عن الآخرين .

ووجدت في لورنس المعلم والصديق فاحبته وارادت ان تجعل منه العاشق ايضاً. كانت تريده ولكنها ارادة ليست واضحة تماماً. انها تحتقر الرجال غير انها ترى في لورنس نموذجاً جديداً يستهويها ويسلب لبها . انه عذب ذكي انساب الى قلبها ، ولقد حاولت ان تكرهه لانه لم يستطع ان يلمح الاميرة المخفية في ثياب راعية الخنازير ، غير انها لم تستطع ذلك. وعندما مرض شعرت انه سيكون ضعيفاً وانها ستغدو اقوى منه ، عندها تستطيع ان تحبه كل الحب. كم تود لو تستطيع السيطرة عليه مستغلة ضعفه فتجعل منه موضوع اهتمامها وعنايتها ! كم تود لو تستطيع ان تضمه بين ذراعيها !

كانت اماسيها معاً بين الحقول وفوق التلال والهضاب ، وبين سياج الحدائق مع الازهار ومع الغروب والنسيم . يتعلقان في ارجوحة او يستندان الى شجرة او يستلقيان على مرج مع الحشائش والازاهير البرية . كل شيء حولهما كأنه صيغ ليلقي حبه في قلبها . انه لا يكاد يلمسها اتفاقاً حتى تتدفق الدماء حارة في عروقها ، ولا تكاد تراه ينحني او يستلقي او يقوم باية حركة حتى تتملكها رغبة دافئة بان تضع يدها على جسده تتلمس تلك الحيوية الفائضة .

وقلقت امه من ازدياد صلته بميريام وكرهتها اشد الكره واخذت تجهر له بذلك اذ لم يكن بينه و بين امه اي حجاب فهو عندها كل مساء يحدثها بتفاصيل حياته اليومية لان امه كانت الصدر الرحب الذي يركن اليه ويلتمس فيه الحب الجارف والحنان الشديد الذي بلغ مبلغاً عظيماً .

ووقف امام نفسه وسألها: هل يحب ميريام! واخبر امه بان ما بينه و بينها ليس سوى صداقة متينة اشتدت اواصرها . اما ميريام فقد ركعت تصلي وتقول : ايها الرب لا تجعلني احبه ، ايها الرب امنعني عن حبه اذا كان يترتب علي ان لا احبه. ووجدت غرابة في هذا الدعاء، فرفعت رأسها وقالت : لماذا يكون حبي له شراً ؟ الحب هبة الله الى البشر . لقد كانت تخجل من الحب بسببه هو . غير ان هذا لا يعنيه بداً . ان حبها يخص هي وربها فقط ولا علاقة له هو بذلك . عليها ان تضحي بنفسها ، غير انها تضحية الرب وليست تضحيته او تضحيتها. وعادت الى الركوع لتتضرع وتقول : فلاحبه ايها الرب اذا كانت هذه مشيئتك ، فلاحبه كما المسيح احب ، المسيح الذي مات لينقذ البشر . واستمرت علاقتها على هذا النحو شهوراً

وسنين، علاقات صامتة واعجاب اخرس ونفسان جياشتان لا يدري كل منهما ما بهما على وجه الدقة والتحقيق. يجتمعان كل مساء حول كتاب فرنسي يطالعانه او حول زهرة أو في تضاعيف نسمة او في أريج مساء عطر او رذاذ متساقط.

لم يكن لورنس راضياً عن نفسه وعن الآخرين، فأعمق حب يكنه في قلبه قد خص به امه. فلا يستطيع ان يتصور نفسه وقد اساء اليها اقل اساءة او اساء الى حبه لها.

وقد بدأت تنشب الآن بينه وبين ميريام معركة ضارية، فهو يأخذ عليها مآخذ كثيرة، اما هي فلم تلمح اي شيء من هذا الا قليلا، لان فكرة التضحية بنفسها والاخلاص في محبته وتحمل كل شيء في سبيله قد امتزجت بنفسها امتزاجاً كبيراً. انها تعتقد في اعماقها بانها لم تملك لورنس ابداً ولم يكن لها يوماً من الايام. فهي لا تثق بقدرتها على امتلاكه ولا ان باستطاعتها ان تكون كما يريده منها. ولم يخطر ببالها ابداً انها تستطيع ان تعيش معه حياة هانئة. انها لا ترى امامها غير فواجع واحزان وتضحيات.

لقد انحنت ذات مرة تقبل زهرة فقال لها: الا تستطيعين محبة الازهار دون المساس بها، كأنك تنزعين منها قلبها؟ الا ينتابك شيء من التهيب والتحفظ امامها؟ لماذا تداعبينها الى هذا الحد وتتملقينها. انك تتوسلين دائماً الى الاشياء كي تحبك. انك تستجدين الحب. ليس بنفسك اية رغبة فيه. ان شهوتك الخالدة هي ان تظفري بمن يحبك. انك تستنزفين كل شيء وتفرغينه كانك تريدين ان تملئي نفسك بالحب لان هناك شيئاً ما ينقصك، شيء لا ادري ما هو.

ووجدته حزيناً في احد الايام فسألته عما به فصمت ثم اجابها بان من الخير فصم هذه الصلة التي بينه وبينها. وسألته عن السبب فقال: ان اقل ميزة للانفصال هي ان المرء يعلم فيه على اي ارض يقف بدلا من هذا الموقف المتأرجح. لقد اخترنا الصداقة، وكم من مرة قلنا لبعضنا باننا لسنا سوى اصدقاء. رغم كل هذا لم نتوقف عندها كما اننا لم نصل ايضاً الى اي شيء غيرها. لن امنحك غير صداقتي لانني لست قادراً على سواها، وهذا نقيصة في. ليس هناك اي توازن او تعادل بين عاطفتينا. واوشك ان يقول لها بأنه لا يحبها ولا يود ان يسد السبيل على رجل آخر غيره. ولكن ما قيمة الرجال الآخرين بالنسبة لميريام وما حاجتها اليهم؟ انها تحب فيه روحه الخاصة به. وانقطع قليلا عن زيارتهم ثم لم يلبث ان عاد. سألها متردداً: هل تعتقدين ان اقلالي من الزيارة يجعلك تحبين رجلا غيري فأجابته: وما حاجتي الى رجل آخر. فقال ليس لي الحق في ان اكثر من الزيارات على هذا النحو اذا لم تكن لدينا النية في الزواج، فقد يظنني الناس خطيباً لك. وسألها: هل تعتقدين ان ما بيننا من الحب يكفي للزواج فأجابت: لا، فنحن ما زلنا اصغر سناً من ذلك.

وتضاءل ما بينهما وقل اتصالهما وان لم تنقطع زيارته للمزرعة انقطاعاً تاماً. لم يعد ينفرد بها في نزهة او حديث، بل خص اخاها «ادغار» بصداقته ووده. غير ان دقائق قليلة يخلوان الى بعضهما فيها تكفي لكي يعود اليهما ذلك الجفو الذي فقداه بالتحاشي والازورار. اما هو فعاد الى امه يبادلها الحب والحنان ولا يطيق الانفصال عنها او الابتعاد، وعادت امه اليه تسبغ عليه من حرارة قلبها ما يدفيء جسده النحيل ويملأ قلبه ويعوضه عن كل فراغ او هم او قلق يحل به.

لم يكن باستطاعتها الا ان يلتقيا وفي القليل الذي كانا يلتقيان فيه كانت تنشب بينهما معركة ضارية. لم يكن مخلصاً لها حتى حين وجودها، فهو تارة خجل واخرى نادم مستغفر، ولم تعرف نفسه الطمأنينة بسببها. اما هي فانها ماثلة دائماً تعبده صامتة حزينة متأملة. انه سبب شقائها وحزنها.

كان نهباً لعاطفتين تتقاسمانه، هما حزنه من اجلها وكرهه لها. انها وجدانه وضميره الكامن في اعماقه غير انه كان يشعر بثقل وطأة هذا الضمير او الوجدان عليه لما له من مطالب جمة. لم يكن باستطاعته ان يهجرها لانها تمسك بيديها خير ما فيه، كما انه لا يستطيع ان يظل معها لانها لم تملكه

كله ، فظل اكثره بعيداً عن متناول حبها .

وعندما بلغت الحادية والعشرين كتب اليها رسالة لم يكن ليستطيع ان يكتب مثلها لامرأة اخرى :

« هل استطيع ان احدثك مرة اخرى عن حبنا الناضب ؟ الا يتغير هو ايضاً ؟ الم تهمد جثة حبنا بعد ان تركت لك روحه الخالدة ؟ ان باستطاعتي ان اهب لك حباً روحياً ولقد وهبتك اياه منذ زمن بعيد ، غير اني لا استطيع ان اهبك حباً جسدياً . انك مؤمنة متعبدة ولقد وهبتك كل ما يمكن ان اعطيه لقديسة ، واعطيتك كل ما يمكن ان يعطيه راهب متصوف لمتعبدة متصوفة ، ولاشك ان هذا هو ما تؤثرينه وتفضلينه. مع ذلك فانت تأسفين ... او قد اسفت في الماضي ... على النوع الاخر من الحب. لاقيمة للجسد في الود المتصل بيننا . اني لا اتكلم بلغة الحواس وانما بلغة الروح، ولهذا السبب لا نستطيع ان نحب كما يحب الآخرون . ان حبنا ليس حباً عادياً رائجاً . ونحن مع ذلك بشر بسطاء ، وعيشنا جنباً الى جنب سيكون مريعاً لاني لست ادري لم لا استطيع ان اكون مرحاً عندما اكون معك . وان حياة فوق مستوى الطبيعة الانسانية معناه هلاكها . اني أشعر بانه عندما يتزوج الناس يجب ان يعيشوا معاً لا كروحين وانما كالمتحابين اللذين يستطيعان ان يكشفا لبعضهما عن دقائق حياتهما اليومية المألوفة دون ان يسبب لهما ذلك اي ضيق او ألم .

هل علي ان أرسل اليك هذه الرسالة؟ اشك في ذلك غير ان الاجدى هو ان ندرك الامور على حقيقتها . »

وقرأت ميريام الرسالة مرتين ثم طوتها وخبأتها . وقرأتها بعد عام لامها « انت متعبدة ـ متعبدة » لقد طعنت هذه الكلمة قلبها كما لم تطعنه او تنفذ فيه اية كلمة اخرى من قبل ، تاركة وراءها جرحاً مميتاً . واجابته بعد يومين «لقد كان بمقدور ذلك الود الحميم المتصل بيننا ان يكون جميلا كل الجمال لولا قليل من الاحتقار، ولكن هل جنته يداي؟»

وابتعد عن ميريام وهجرها واخذت الشهور تمر وتنساب . وتوطدت خلالها صداقته بـ « كلارا » زميلته في العمل وصديقة ميريام . واخذا يخرجان معاً كل مساء . كان كغيره من الشباب الذين هم في سنه ، معقد الغريزة الجنسية الى حد يجهل معه هل يشتهي ميريام ام كلارا ام اية امرأة اخرى يعرفها . ان ما به شيء منفصل مستقل لا يخص امرأة ما . انه يحب ميريام بروحه ، غير انه عندما يفكر بكلارا يحس بان الدم يجري حاراً في عروقه . انه يعرف ادق انحناءات جيدها وكتفها كانه صاغها بيده ، غير انه مع ذلك ليس على يقين تام من انه يشتهيها . ولقد علمت ميريام بسحر كلارا الذي تسلط عليه غير انها ظلت على يقين من ان افضل ما فيه هو الذي سينتصر في النهاية . فشعوره نحو كلارا عارض عائم على السطح بالنسبة للحب العظيم الذي يكنه لها، سيعود اليها، وانها لواثقة من ذلك .

عاد الربيع وصدق حدسها فقد اخذ لورنس يحس بان عليه ان يعود اليها ، ولكن لم يعتريه هذا الكره والنفور ؟ انه ناجم عن تلك البراءة والطهارة الجاثمتين في اعماقها واعماقه ايضاً فلا يستطيعان تحطيمهما . انه يستطيع الزواج منها ، غير انه لا يريده ، فالزواج يربط الحياة باكملها ، وانه لا يدري لماذا يكون الزواج هو النتيجة الحتمية التي يجب ان ينتهي بها ما بينهما . انه لا يحس من اعماقه بالرغبة بالارتباط بميريام ، وانه ليأسف على ذلك ، وليتنازل طوعاً عن عشر سنوات من عمره كي تساوره الرغبة في الزواج بها وامتلاكها . ولكن لماذا لم يوفق الى ذلك ؟ ان بينهما عقبة، ولكن ما هي ؟ انها عبودية الجسد . ففكرة الاتصال الجسدي تجعله يتراجع مذعوراً. ولكن ما السبب في ذلك . انه يحس عندما يكون قربها ان ثمة شيئاً يعيقه عن الوصول اليها . انها تحبه ، كما ان كلارا تريده ، ولكن لم لا يستطيع ان يغازلها كما يفعل مع كلارا ويقبلها ؟ لمَ يحس في نزهاتها عندما تمد يدها لتتأبط ذراعه

انه يكاد ينفجر كرها و نفوراً ووحشية؟ ولعل مرد ذلك الى الخجل المرعب الذي يساور الحب الاول . انها رغبة حارة تناضل ضد خجل وطهر اشد واقوى . فالطهر او العذرية تبدو كانها قوة ايجابية تناضل في نفسيهما وتنتصر . وهي بالنسبة لميريام قوة لا تغلب ابداً . رغم ذلك فانه اقرب ما يكون الى ميريام دون سواه ، ولن يستطيع ان يسلم نفسه الا لها وحدها . غير انه لن يتزوج اذا لم يشعر بان في هذا قوة له . فمن الحطة ان يقدم على تضحية نفسه بزواج لا يرغب فيه . فمعنى هذا انه يهدم حياتهما ويحيلها هباء .

لقد شعر بحنو عظيم نحو "ميريام"، فهي دائمة الحزن تائهة في حلمها الصوفي . انه دينها الذي تتبعه . ولم يطق فكرة هجرها فقرر ان يعود اليها معتقداً ان كل شيء سيستقر وينتظم اذا هو غالب نفسه وحاول من جديد .

عاد الى ميريام ، وكان فيها شيء يبعث الدموع في مآقيه اذا نظر اليها ...

لقد اتفق يوماً ان كان خلفها عندما كانت تغني مصحوبة بالبيانو، ان فمها عندما تنشد يتخذ طابعاً يائساً . وغناؤها يشبه صوت متعبدة يتصاعد الى السماء . وعاوده الالم من جديد كنصل الفولاذ المحمى وتساءل : لِمَ عليه ان يطلب منها الشيء الآخر ... الجنسي ! لِمَ يأباها دمه ؟ انه على اتم الاستعداد ليهب يمناه كي يكون دائماً رقيقاً معها عذباً لطيفاً ، وكي يستطيع ان يستنشق دائماً ذلك الجو الصوفي الحالم الذي يحيط بها . ليس من العدل ان يقسو عليها بصلة جنسية . ان عذرية خالدة تكمن فيها . انها تذكره بامه التي يكمن الطهر والعذرية في عينيها الرماديتين الكبيرتين رغم ان لها سبعة ابناء ، هذه الام التي اصبحت امرأة بين الرعب والنفور . وكانا وحيدين في المزرعة ذات مساء فحدثها عن رغبته في الزواج وانه بحاجة الى ... امرأة . وسألها عما اذا كانت تحبه فصمتت ولم تجب ، فادرك انها خجلة فقال لها بمرارة : انها غلطتي ، غير اني لا استطيع ان امنع نفسي ... ان اكون ... كما انا . فقالت له : اني اعلم ذلك . فاجاب : احبك غير ان هناك شيئاً لا يزال ينقصني . فقالت وابن يكمن هذا النقص ؟ فقال – انه في انا . يجب ان احمر خجلا من هذا النقص في روحي . ولكن ألم نبالغ نحن فيما يسمونه الطهر والنقاء ؟ ان التفكير في الحب .. يجعلك تتراجعين اشمئزازاً ، ولقد انتقلت الي العدوى . فهزت رأسها مؤيدة اقواله . ونظرت اليه واشفقت عليه لقد اظلم الالم عينيه . فهذا الحب المنحرف اصبح مصدر حزن لهما . ووضعت يدها على ركبته فتناولها وقبلها ولكن كيف يستطيع تقبيل يدها ما دام كل اتصال بينهما يبعدها عنه ولا يترك في نفسها غير الألم ؟

ولقد ضمها رغم ذلك اليه واسندت رأسها الى صدره فقال – ان هناك ضرباً من الشر يكمن في روحينا ويحاول ان يبعدنا عما نريده ، فلنناضل لاقصائه . وحاولت ان ترضيه بان تبادله الحب غير انها كانت تغالب روحها وتبذل جهداً فوق طاقتها . وسألها ان تكون له فاجابته بجهد – ساكون لك يوماً . لم تكن تخشى الناس وكلامهم فما تخشاه انما هو هذه العلاقة نفسها وما يطلبه منها . ستهبه نفسها اذا الح على ذلك . ولكن سيخيب ظنه ولن يجد ما يرتقبه وسيهجرها . وسيكون في اتصالها موت لغرامها . انه رجل كبقية الرجال يبحث عن لذته ، غير انها مع ذلك تستطيع الوثوق به . لقد كان يقول : إن الامتلاك الجسدي لحظة كبيرة من لحظات الحياة تتركز فيها جميع الانفعالات القوية . قد يكون هذا صحيحاً . ففيه شيء قدسي عندها ستقبل على التضحية من اعماقها وستهبه نفسها . عندما راودها هذا الخاطر لم تستطع ان تقنع نفسها عن الارتجاف وتقلص جسمها كأن ثمة اعتداء يوشك ان يقع عليها . غير ان الحياة اجبرتها على ان تمر من هذا الباب ، باب الالم ، واذعنت لذلك . ستهب لورنس كل ما يريده . وكل ما تتمنى هو ان تهبه ما يريده . غير انها لم تكف ابداً عن التأمل في هذه الهبة . منذ تلك اللحظات اخذ يغازلها . وعندما كانت في بعض الاحيان تمسك بوجهه بين راحتيها وتنظر في عينيه ، لا يطيق تحمل نظراتها الصريحة النافذة الممتلئة بالحب ، فيشيح بوجهه عنها . انها لا تمنحه ابداً لحظة نسيان لكل شيء . وعاودها من

جديد شعورها بمسؤوليتها واخذ يعذبها ولم يستطع لورنس ان يستسلم الى ذلك الظمأ العظيم الى الحب حيث تفنى الشخصية فهو يشعر دائماً بانه كائن عاقل مفكر. اما هي فعندما تتأمل عينيه حيث تلتهب نار مظلمة وشهوة نكرة مجهولة ، فانها لا تعرف فيها لورنس الذي تحبه وعندما وهبته نفسها رفعت اليه عينين متوسلتين كمن يقدم على تضحية لا بد منها. وتمنى هو لو خمدت فيه كل نسمة من حيوية .

وعاشا معاً اسبوعاً كاملا كزوجين في بيت منفرد . وطلب اليها ان تتزوجه فأبت ذلك . كانت تشعر شعوراً عميقاً بأن ما بينها لا يمكن ان يدوم لان ما يريده منها لا يمكنه ان تهبه اياه مخلصة من اعماقها . وابتدأ يكرهها لانها استحوذت عليه دون ان تعرف كيف تكبله تمام التكبيل . انها تستحوذ على كل شيء ولا تعطي شيئاً . انها لا تبعث حولها اية حرارة . انها لم تكن حية يوماً ولم تفهم الحياة مطلقاً . لقد شعر انها لا تملك ما يبحث عنه . انها وجدانه وليست رفيقته .

اخيرا صمم على هجرها وفصم كل صلة بينه وبينها . والتقيا فاخبرها بعزمه . وقال بان لا جدوى من علاقتهما وانه لن يتزوجها او يتزوج اية امراة اخرى . وتأملته فلم تجد فيه اكثر من صبي طائش حطم الكاس بعد ان شرب منه وارتوى . وصاحت في وجهه : انك كطفل عمره اربع سنين . فصمت ثم قال : يجب ان نفترق ، لقد عشنا معاً سنين طويلة وسيذهب كل منا في طريقه وتكون له حياته المستقلة .

احست من اعماقها رغم المرارة التي اصابتها بان كلامه لا يخلو من الصواب . انها تشعر معه بنوع من العبودية المقيتة لانها لا تستطيع التخلص منها . ولقد كرهت حبها له منذ ان شعرت انها لا تستطيع الخلاص من هذا الحب . انها في اعماقها تكره لورنس لانها تحبه ولانه مسيطر عليها ، ولقد ناضلت للخلاص من هذه السيطرة كي تظل حرة . وهي حرة الآن مثله . وتابع كلامه قائلا : لقد ساهم كل منا في صنع الآخر فلنحي بعد الآن بأنفسنا. فقالت: ان الذي بيننا لم يكن غير معركة طويلة . لقد كنت تناضل دائماً للخلاص مني . اما هو فكان يردد في نفسه ان لم تكن بينهما اية علاقة ، وان خياله هو الذي ملأ الفراغ الذي يشعر به وخلق شيئاً من العدم . وان ميريام تعلم ذلك ولكنها لم تظهره . وبدت له قصتها كأنها شيء شيطاني . فميريام هي التي عبثت به وليس هو الذي تلاعب بها . قالت له: اتذكر ما كنت تقوله لي الشهر الفائت ؟ قال : نعم اذكره ولن تقع جريرته علي اذا انتهى الى الفشل ما كان بيننا . قالت : لقد انتهى هذه النهاية لانك كنت تريد شيئاً آخر. قال: لم يكن من الممكن ان ينتهي على خلاف ما انتهى عليه . انك لم تؤمني بي أبداً .

وتولته ضحكة غريبة ثم صمت مفكراً. لقد خدعته ميريام. كانت تحتقره في حين كان يعتقد انها تحبه . لقد جعلته يفوه بأشياء مزيفة دون ان تعارضه ، وتركته يناضل وحده. كان يود من صميمه ان يصرخ فيها قائلا بأنها تحتقره في حقيقة نفسها . غير ان الكلمات لم تستطع الخروج من حلقه . كان عليها ان تنذره حين وجدت فيه ما يوجب المؤاخذة واللوم . وهكذا لم تكن صريحة معه . فهو يكرهها . لقد عاملته خلال سنين عديدة كبطل بينما لا تراه في اعماقها غير طفل احمق ، ولكن لماذا تركت الطفل الاحمق سادراً في حمقه وغباوته ؟ وشعرت هي بالمرارة التي انتابته لقد صدق ظنها. انها استفادت من الزمن الذي قضياه معاً لتفحصه وتعرفه حق المعرفة في انحطاطه وصغاره وحماقته . فاستطاعت بذلك ان تقي نفسها منه . فهي ليست الآن مضطربة مرتبكة او كبيرة مغلوبة على امرها بل ليست جريحة طعينة ابدا. لقد علمت كل شي ولكن لماذا تكون له هذه السيطرة الغريبة عليها ؟ ان حركاته تبهرها وتسلبها ارادتها رغم انه متردد حائر وزائف جدير بالاحتقار . لم لا توجد حركة في العالم تثيرها وتهزها كحركة من ذراعه؟ لم هي مرتبطة به ؟ لم هي على استعداد الآن لان تطيع اتفه اوامره ؟ غير انه اسيرها رغم طاعتها له . وانها لواثقة من نفسها . ولكن مؤثراً جديدا قد سيطر !

انه ليس رجلا ! انه طفل يبكي في طلب دمية جديدة !

فليذهب اذن ! سيعود اليها عندما يتعب من هذه الاحاسيس الجديدة

ولقد ذهب حقيقة ... غير انه لم يعد اليها لانه ذاهب الى الابد .

لقد ذهب الى امراة جديدة تعوضه عما لم يجده عند ميريام .

ذهب الى ... كلارا .

دمشق — **جلال فاروق الشريف**

توافق الافكار والتعابير في ادب الرابطيين

بقلم عيسى الناعوري

☆

ما ذكرت « الرابطة القلمية » مرة ، الا ذكرت معها قفير النحل الذي يزخر بالحياة والبركة .

واعضاء الرابطة القلمية يشبهون النحل من نواح كثيرة : ففيهم من النحل نشاطه ، وإخلاصه ، وحلاوة انتاجه .

وكما يحوم النحل في الحقول الزواهي ، يمتص من ازاهيرها اعذب الرحيق يحوله الى شهد لذيذ . كذلك كان الرابطيون يمتصون رحيق الحياة الكامنة في نفوسهم ، وسلاف المعاني التي تقدمها الطبيعة ، ويوحي بها المجتمع الانساني ، فتحوله اقلامهم ادباً اطيب من الشهد ، واكثر منه حلاوة .

وكما تحوم جماعة من النحل حول زهرة واحدة ، فتمتص كل منها شيئاً من رحيقها ، كذلك كثيراً ما حام ادباء الرابطة حول عدد من المعاني الواحدة ، فخرجوا منها بفكرة واحدة ، وروح واحدة ، وإن تنوعت القوالب اللفظية في التعبير . ومع ذلك لم يفقد احد منهم شخصيته الادبية ومميزاتها المتفردة .

وليس في توافق افكار الرابطيين شيء من الغرابة ، فقد كانوا فئة قليلة العدد من الشبان ذوي المواهب الأدبية المتفوقة ، والنزعات الفكرية الحرة ، والعقول النيرة . جمعت بينهم الغربة ، بعد ان كان يجمع بينهم الوطن الواحد وجمعت بينهم الغيرة على انقاذ الأدب العربي من جموده وقيوده ، وألف بينهم الاستعداد الطبيعي ، والقدرة على العمل المنتج . وكان الجو حراً يسمح بالعمل ، والآفاق واسعة تسمح بالتنفس ملء الرئتين .

كل هذا جعل لهذه الجماعة الصغيرة شخصية ادبية واحدة ، قوية ، مبدعة . فبدأوا العمل برغبة وحماس ، والتفوا حول جريدة واحدة ـ كانت اولا « الفنون » لنسيب عريضه ، حتى قضت ، فالتفوا حول «السائح» لعبد المسيح حداد ـ يحررونها وينضدون احرفها ، ويطبعونها ، ويوزعونها هم وحدهم ، وبأيديهم ، لا يعتمدون على أحد سواهم في شيء من اعمالها .

وكانت دارهـا ندوتهم اليومية ، وملتقى أحاديثهم ، ومجتمع افكارهم . ولذلك كان لا بد من ان تتوافق افكارهم ، وتتقارب تعابيرهم ، بعد ان توحدت مبادئهم ، وتآلفت ارواحهم ، وان يظهر هذا كله في انتاجهم الادبي الجميل .

وليس شك في ان هـذا التآلف الفكري والروحي بين هـذه الجماعة الصغيرة القوية في مواهبها ، كان السبب الاهم في النجاح الادبي الذي احرزوه ، والاثر البعيد الذي تركوه في الحياة الفكرية العربية الحديثة ، لانهم كانوا بأساليبهم الجديدة القوية المتنوعة ، يؤدون رسالة واحدة ، كلها خير وكلها محبة ، وذلك لاول مرة في حياة الادب العربي كلها . وهذه قوة كبيرة ، ليس غريباً ان تترك اثرها في الحياة والناس .

ومن الحق ان نذكر ههنا انه قد كان لوجود جبران على رأس هذه الجماعة ـ وقد كان هو أسبقهم الى الظهور في الميدان الادبي ، بقلمه الجريء ، ومبادئه الفكرية الحرة المخصبة ـ اثر بعيد جداً في افكارهم وانتاجهم الادبي . والمبادىء الفكرية التي كان يعالجها بقلمه ، من مثل الاخوة الانسانيـة الشاملة ، وعقيدة تناسخ الارواح ، ووحدة الوجود ، هـذه المبادىء والعقائد قد تركت اثرها في نفوس زملائه ، فترددت على اقلامهم بتعابير متنوعة ، واساليب متفاوتة .

ولعل من الحق ان نذكر ايضاً ان أكثر من تأثر بهذه الروح الكبيرة ، وبمبادىء صاحبها وعقائده الفكرية ، واتخذ منها رسالة ادبية وروحية يبشر بها بعد صاحبها ، وينافح عنها بكل قوة وبراعة ، هو ميخائيل نعيمة . فوحدة الوجود ، والاخوة الانسانية ، اللتان بشر بها جبران في كثير من مؤلفاته ، هما عماد أدب نعيمة ، ومحور انتاجه الأدبي ، وعقيدة التناسخ التي رددها جبران في كثير مما جرى به قلمه من الفصول ، منذ بدء ظهوره الادبي ، كانت محور قصة «لقاء» لنعيمة ، وعدد آخر من فصوله

الباقية. والافكار الفلسفية التي رددها جبران في «رمل وزبد» و «النبي» خاصة، نجد لها مثيلا في ما كتبه نعيمة. وكما وضع جبران كتابه «النبي» ليحمل خلاصة فلسفته وآرائه في الحياة والوجود، و «رمل وزبد» ليحمل الاشعاعات الخاطفة من تأملاته وخطرات روحه، كذلك وضع نعيمة كتابه «Mirdad» ليحمل خلاصة فلسفته وآرائه في الحياة والوجود، و «كرم على درب» ليحمل الاشعاعات الخاطفة من فكره.

اما الروح الانسانية خاصة، فهي عماد ادب الرابطيين، اخوان جبران وزملائه. وكذلك حب الطبيعة، وعمق الاحساس بها، وخلق الحياة في كل ما فيها، واتخاذ العبرة منها.

وكذلك يتفق الرابطيون في فهم الأدب، وفي روح التجديد في اللغة والمعاني، ويتفقون ايضاً في الاحساس والتفكير، وفي التعبير عن احساسهم وتفكيرهم، وفي الاعتقاد الراسخ بأن الفكر الخالق والخيال المبدع هما اللذان يحييان اللغة وليست القواميس وكتب اللغة، وقد تحدثنا عن هذا في فصل آخر عقدناه على «رسالة الادب المهجري الى اللغة العربية» فلا حاجة لتكرار الحديث عنه هنا.

اما ما عدا ذلك، فسنرى فيما يلي بعض الأفكار والمعاني التي طرقها الرابطيون في أدبهم الانساني الجميل. ولعل أول ما تجدر الاشارة اليه، تلك النداآت الانسانية التي تهز النفوس بحنان عذب، وتحرك القلوب برقة ساحرة، من مثل: «أخي، صاحبي، رفيقي، صديقي، وغيرها»، هذه التعابير التي لم يعرفها الأدب العربي سابقاً تمثل هذه الروح النبيلة والمشاعر الرقيقة التي عرفناها في ادب المهجر.

وليست قصيدة «أخي» لميخائيل نعيمة بمجهولة، وهي من اروع الشعر الانساني المؤثر. وكذلك قول ابي ماضي في قصيدة «الفاتحة»:

يا رفيقي! انا لولا انت ما وقعت لحنا... الخ ...

وفي «الطين»:

يا أخي! لا تشح بوجهك عني ما أنا فحمة ولا انت فرقد

وقول نسيب عريضة:

يا ابن ودي، يا صاحبي، يا صديقي! ليس حبي تطفلا او ثقاله
فأجبني بـ «يا أخي»، يا صديـقي وأعد إنهـا ألذ مقـاله

وقول ندره حداد:

يا اخي الساعي لنيل المجد خفف عنك جمحك الخ ...

وغير هذا كثير لا يمكن سرده في مثل هذه الالمامة، وكله يدل على عاطفة انسانية فسيحة، ملؤها النبل، والرقة والحنان، وعلى قلوب انسانية سبكت في الفردوس، ثم اهبطت الى الارض لتعلم الناس كيف يسمون بانسانيتهم.

ومن التوافق اللطيف في ادب الرابطيين نذكر قول جبران في فصل له بعنوان «ايتها الارض»:

«ما اكرمك ايتها الارض، وما أطول أناتك! نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح، وانت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم، نحن نزرع راحاتك بالعظام والجماجم، وانت تستنبتينها حوراً وصفصافاً، ونحن نستودعك الجيف، وأنت تملأين بيادرنا بالاغمار، ومعاصرنا بالعناقيد، نحن نصبغ وجهك بالدم، وانت تغسلين وجوهنا بالكوثر».

وقد لخص نعيمه هذه المعاني بقوله في «زاد المعاد»:

«هي النكبة ان تسقينا الارض من عصير قلبها الطاهر، فنسقيها من دماء قلوبنا الممزقة بشفار بغضائنا واهوائنا».

ويقول ابو ماضي في قصيدته «الطين»، واصفاً بساطة الطبيعة وعدم تملقها او محاباتها:

ان طير الاراك ليس يبالي انت اصغيت ام انا ان غرد
والازاهير ليس تسخر من فقري ولا فيك للغنى تتورد

وفي قصيدته «كتابي» اذ يقول ايضاً:

وشاهدت كيف النهر يبذل ماءه فلا يبتغي شكراً ولا يدعي فضلا
وكيف يزين الطل ورداً وعوسجا وكيف يروي العارض الوعر والسهلا
ودبي الذي اختار الغدير لنفسه ويا حسن ما اختار الغدير وما أحلى!
تجيء اليه الطير عطشى فترتوي وان وردته الابل لم يزجر الابلا
ويغتسل الذئب الاثيم بمائه فلا اثم ذا يمحى، ولا طهر ذا يبلى

وفي عدد آخر من قصائده الروائع، مثل «المساء» و «الشاعر والسلطان الجائر» و «الطلاسم» وغيرها.

واذ تنظر في مؤلفات نعيمة تجد هذه المعاني نفسها منبثة هناك، كقوله في «زاد المعاد»، تحت عنوان «دستور الطبيعة»:

«وجاري - صنين - جار كريم حليم: يجول في جوه النسر والخفاش، فيمد بساطه للاثنين على السواء. يتسلقه الغني فلا ينحني امامه قائلا: «أهلا وسهلا»، والفقير، فلا يعبس في وجهه وينتهره: «اغرب عني». وتشرب من ينابيعه العنزة الصحيحة والجرباء، فلا يسقي الاولى ماء زلالا، والثانية ماء عكراً».

وهذه المعاني تذكرنا «بمواكب» جبران التي أكثر فيها من الحديث عن عدل الطبيعة ومساواتها، ومما قاله في هذا المعنى:

ليس في الغابات حر لا ولا العبد الذميم
انما الامجاد سخف وفقاقيع تعوم
فاذا ما اللوز ألقى زهره فوق الهشيم
لم يقل: هذا حقير وأنا المولى الكريم

وكذلك يتوافق جبران وابو ماضي في معان كثيرة، نذكر

منها قول جبران في « رمل وزبد » :

« ما انبل القلب الحزين ، الذي لا يمنعه حزنه من ان ينشد اغنية مع القلوب الفرحة » .

وقول ابي ماضي في المعنى نفسه :

قال: الليالي جرعتني علقما قلت : ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك ان رآك مرنما طرح الكآبة جانبا وترنما

ويتوافق ابو ماضي ونعيمة في معان اخرى. فمثلا يقول ابو ماضي:

كم تشتكي وتقول انك معدم والارض ملكك والسما والانجم
ولك الحقول وزهرها واريجها ونسيمها والبلبل المترنم

فيقول نعيمه: « اولم تعطك الحياة السماء وكل ما فيها ، واليابسة وكل ما عليها ، والبحار وكل ما في احشائها ؟ » .

ويقول ابو ماضي في « الاسطورة الازلية » :

م حددوا القبح فكان الجمال وعرفوا الخير فكان الطلاح
وليس من نقص ولا من كمال فالشوق في التحقيق مثل الوقاح
وذرة الرمل ككل الجبال وكالذي عز الذي هانا

فيقول نعيمة: « لا الجبل اثقل من ذرة الرمل ، ولا الثور اعظم من الضفدع ، ولا الثمرة اثمن من الحطبة ، ولا الزهرة اقدس او اجمل من الشوكة » .

وكذلك يتوافق ابو ماضي وندره حداد . فيقول ابو ماضي في قصيدته « الفاتحة » .

يا رفيقي ! انا لولا انت ما وقعت لحنا
كنت في سري لما كنت وحدي اتغنى
هذه اصداء روحي ، فلتكن روحك اذنا
ربما كنت غنيا غير اني بك اغنى
يا رفيقي انت ان راعيت فجري صار اسنى
واذا طفت بكرمي ، زدته خصبا وامنا
قد سكبت الخمر كي تشرب فاشرب مطمئنا
كلما افرغت كأسي ، زدت في كأسي دنا

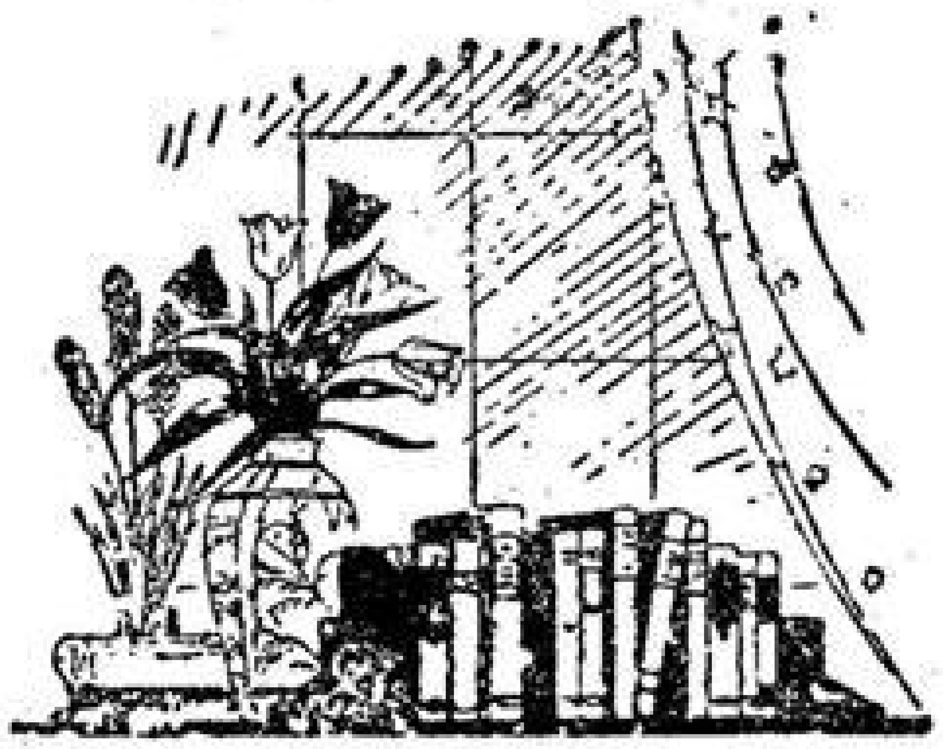
ويقول ندره حداد في قصيدته « سر معي » :

يا أخي الساعي لنيل المجد خفف عنك جمحك
انا راض بالعصا يا أيها الحامل رمحك
وسارضى خبزك الاسود في الحب وملحك
وسأنسى جرح قلبي ، كلما شاهدت جرحك
وأرى ليلك ليلي ، وأرى صبحي صبحك
واذا أخطات نحوي ، فانا الطالب صفحك

ان هاتين القصيدتين تحومان حول معنى حنون واحد ، فيه أجمل وانبل ما يمكن ان ينبض به قلب ، من معاني المحبة والاخوة ، والعواطف الانسانية الصادقة المخلصة .

ويشترك ميخائيل نعيمة مع هذين الشاعرين ، اذ يقول في فصل « اخوة غرباء » من كتابه « صوت العالم » :

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا او ٦٠ دولار كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل : ٣٧ ـ ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

« ادركت يا أخي أنني ما خطوت خطوة في حياتي الا كانت يدك في يدي ، وساعدك الى ساعدي ، وكتفك الى كتفي ... وأنني حييت لا بما في وحدي من حياة ، بل بما فيك وفي من حياة ... وها أنذا أستغفرك جميع ذنوبي اليك ـ وما اكثرها ـ فهلا غفرت ؟ »

وقد حام نسيب عريضه في عدد من قصائده حول هذه المعاني الحنونة التي طرقها زملاؤه . ونشير بنوع خاص الى قصيدتيه « ادن مني » و « يا أخي » في ديوانه « الارواح الحائرة » .

ونحن حين نقرأ هذه الاقوال جميعها تتذكر جبران ـ عميد الرابطة ـ اذ يقول في « دمعة وابتسامة » :

« انت أخي ، وكلانا ابن روح واحد قدوس كلي ، وانت رفيقي على طريق الحياة ... انت انسان ، وقد احببتك يا أخي خذ مني ما شئت ، فلست بسالب غير مال لك الحق بقسم منه ، وعقار استأثرت به لمطامعي ، فأنت خليق ببعضه ، ان كان يرضيك بعضه . انت أخي ، وأنا احبك » .

ومن الادلة على توافق الرابطيين في معان أخرى ، قول جبران ، تحت عنوان « وعظتني نفسي » وهو :

« وعظتني نفسي فعلمتني الا اقيس الزمن بقولي : « كان بالامس ، وسيكون غداً » ... اما الآن فقد عرفت ان في الهنيهة الحاضرة كل الزمن ، بكل ما في الزمن مما يرجى وينجز » .

وايضاً : « وعظتني نفسي فعلمتني الا أحد المكان بقولي : « هنا وهناك وهنالك » ... اما الآن فقد علمت ان مكاناً أحل فيه هو كل مكان ، وان فسحة اشغلها هي كل المسافات .

ويقابل هذا قول نعيمه في « زاد المعاد » :

« والخيال الذي يطوي كل الزمان في « الآن » ، ويحشر كل المكان في « هنا » ، لا يبصر شيئاً من التفاوت » . وايضاً : فكل الاغداء انما هي هاجعة في حضن هذا اليوم » . وقوله كذلك : كيفما انقلبتم تناولتم من الحياة ما يستحيل عليكم فصله عن سواه وعنكم ، ووجدتم انكم في كل شيء ، وان كل شيء فيكم ، وانكم لا يحصركم مكان ، ولا يحدكم زمان » .

وكذلك قد يتفق الرابطيون حتى في اللهجة الساخرة المتهكمة ، فمثلا يقول ابو ماضي :

ألك الروضة الجميلة ، فيها الماء والطير والازاهر والند ؟
فالجم الماء في الغدير ومره لا يصفق الا وانت بمشهد
وازجر الريح ان تهز وتلوي شجر الروض انه يتأود !..

ويقول نعيمه في نفس المعنى :

« ... اذن ضع البحر في جيبك ، والشمس والقمر والنجوم في بيتك ، واحبس الهواء في خزانتك ، واحصل على صك بشذا الازهار وأغاريد الاطيار ... » .

اما حب الطبيعة ، واندماج الرابطيين الشعوري فيها ، فلسنا في حاجة الى ضرب الامثلة والشواهد عليه ، لانه صفة عامة فيهم ، وفي الامثلة القليلة التي اوردناها في هذه العجالة ما يكفي للدلالة عليه . فالطبيعة عندهم هي رمز الجمال والحرية والمحبة ، وهي الملهم الاكبر ، والمصدر الذي يقتبسون منه امثلتهم وتوجيهاتهم .

واما الحنين الى الوطن ، هذه العاطفة الملتهبة التي اكتوى بنيرانها كل اديب مهجري ، فان من لغو القول الاتيان بشواهد على توافق افكار الرابطيين ـ وغير الرابطيين ايضاً ـ وتعابيرهم فيها ، فهي عاطفة مشتركة بين الجميع ، وقد ابدع فيها ادباء المهجر عموماً ، بشكل لم يسبق ان عرفه تاريخ الادب العربي من قبل . واكثر من نظموا في الحنين الحار ، بين الرابطيين هم : رشيد ايوب ، وابو ماضي ، ونسيب عريضه ، وندره حداد .

وبعد فهذا وشل من فيض مما يمكن الاستشهاد به في هذا المجال . والدارس المستقصي لا بد له من ان يلاحظ هذا التوافق في الفكر والتعبير لدى ادباء الرابطة القلمية ، لكثرته ، ولذلك رأينا ان نخصص له هذا الفصل للدلالة عليه .

غير اننا لا نستطيع أن نحصي هذه المعاني والافكار والتعابير كلها التي تناوبت على طرقها أقلام الرابطيين في مثل هذه الالمامة السريعة .

وملاحظة اخيرة لا بد منها ، وهي ان النقاد القدماء اعتادوا أن يدعوا مثل هذا التوافق الفكري « توارد خواطر » ، ولكن توارد الخواطر هذا لا ينطبق على حالة الرابطيين ، لأن معناه أن يقع اثنان او اكثر من الكتاب او الشعراء على معنى واحد ، عفواً وبدون قصد . اما الرابطيون فان الذي بينهم هو وحدة في العقائد والمبادىء الفكرية والادبية والانسانية ، وفهم مشترك في الادب واللغة ، وتآلف روحي على تأدية رسالة ادبية وانسانية واحدة . ولذلك فالذي بينهم هو « اشتراك مقصود » وليس مجرد « توارد خواطر » .

عمان — **عيسى الناعوري**

انت

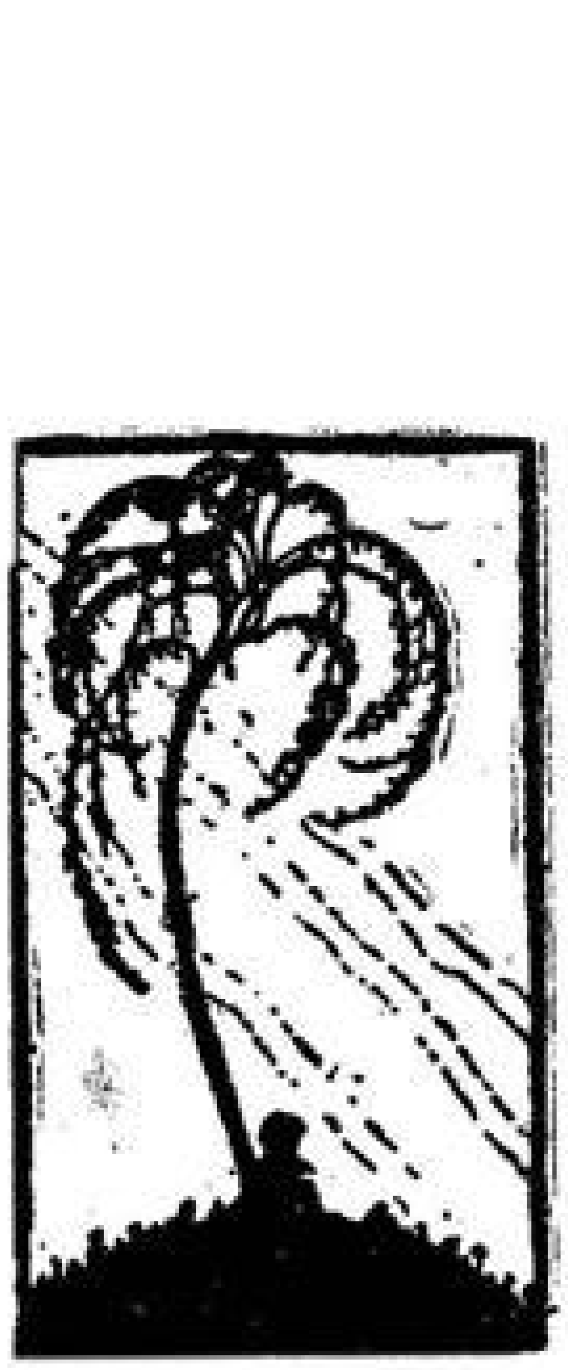
☆

الى صديقي الشاعر
وصفي قرنفلي

☆

لأنور الجندي

طرطوس



انتِ، من انتِ..؟ من تكونين..؟ سر، انا منه في حيرة ووجوم
عالم تزخر الكآبة فيه، وهموم تغلغلت في الصميم
وعيون مسهدات، ونفس دميت، فهي في عذاب مقيم
تنتزى من المواجع والآلام، في ليلها الطويل البهيم

***

أنت، من أنت؟ من تكونين؟ سر تائه في مسارب الاضواء
كيف دلهتني..؟ ولم أكُ إلا فرحة العرس، في ليالي الهناء؟
كنت قبل الهوى، أدل على الدنيا، خلياً من خيبة، أو رجاء
وتواريت، فارتميت جريح القلب، في مهمه من الشك، ناء

***

أنت، من أنت؟ من تكونين؟ سر أنا منه في حيرة واكتئاب
لا أغالي، اذا سألتك محزوناً، وفي القلب، دفقة من عذاب
أفأسلو، وأنت مني ليل ريق الخمر، مترف الأكواب؟
وأنا منك، نشوة تغمر الدنيا وتغفو على جفون السحاب؟

***

أنت، من أنت؟ من تكونين؟ قولي يا عذاب المدله المخبول
هل رأيت النجوم، تخطر في الافق، وتحبو الى مدى مجهول
فتشبثت بالضياء، وخلفت اصفراري، ووحشتي، وذهولي؟
لا تقولي غدرت، ما أنا بالغادر، يا بهجة الربيع الجميل

***

أنت، من أنت؟ من تكونين؟ لحن أنا غنيته، فكان ضلالي
كل ما فيه، أنه اثقل النفس، يوهم على الزمان محال
يا أنا شيدي الحرار المدماة، استجيبي لحيرتي وسؤالي
من تكونين؟ من يراك؟ سراب لاح في الفجر، واختفى في الظلال

***

يا انعتاق الهوى، وهينمة الألحان، غني مع الصباح الجديد
لست مني، ولست منك، ولكن أنا طير خلقت للتغريد
عشت للشعر، والكآبة، والأوهام، في ظل عالم محدود
فتنكرت للحياة، وهدمت سدوداً، يا ذلها من سدود

***

يا خيالي، وأنت تجمح بي شوقاً، أتنسى صبابتي ونعيمي؟
خلني يا خيال، في ظلمة الآلام، والشك، والأسى، والهموم
ذنب قلبي، أني حبتك أنغاماً، عذارى، تهيم بين النجوم
وأنا الشاعر الغريب، اعيش العمر، في عالم عديم التخوم

***

لا وعينيك يا خيال، وسر ضاع مني، وضيع الآمالا
لا تسلني، وأنت مثلي غريب ودع الاهل، والصبا، والجمالا
أأغنيك ذكرياتي، وكانت في فم الكون، نشوة، وابتهالا؟
غربتي، غربة الأزاهر في البيداء، جفت عطورهن ملالا

الفاتحة

قصة

مهداة الى الصديقة الآنسة انعام الصغير

بقلم الآنسة سميرة عزام

ألقى عزت بك خيري بجسمه الكبير على احد المقاعد الجلدية المصفوفة حول مكتب المحامي احمد عبد الكريم وأراح عصاه على ركبتيه ثم اخرج منديلا كبيراً راح يمسح به قطرات العرق المتألقة على جبهته وقال :

ـ اسمي عزت ، عزت بك خيري ، واؤكد يا استاذ بان الاسم ليس بغريب على اذنيك وقد رددته الصحف كثيراً في الايام الاخيرة ، حين اسهبت في وصف الحادث الذي أتهم به ولدي رائف خيري .

ـ تقصد حادث مقتل احد رواد حانة باخوس لنزاع حول راقصة .؟

ـ نعم هل قرأت تفاصيل الحادث .

ـ لقد ألممت به من خلال مطالعاتي للصحف اليومية

ـ اذن فستريحني من الاسهاب ، لقد ارتأيت ان اكل اليكم امر الدفاع عن رائف ، اذا سمحتم .

ـ بكل سرور ، فقط ارجو ان تكون دقيقاً في سرد القصة مفصلة على مسمعي

وزفر الرجل بحرارة وراح يروي تفاصيل الحادث بينما امسك المحامي بقلم رصاصي وأخذ يسجل بعض النقاط التي يشتم منها رائحة الاهمية ، ثم توقف عن الكتابة فجأة وتفرس قليلا في وجه الرجل ، ثم غض بصره وراح يحدق في الاسم المخطوط على الورقة امامه ، عزت ... رائف ، هذه الاسماء تكاد تكون مألوفة لديه ، ثم هذا الوجه ، لقد سبق له ان رآه ، وهو على ثقة بان هذه الملامح التي يؤلمها ان تنبسط ، ليست لوجه يطالعه للمرة الاولى .

ولم يطل باستاذنا العناء اذ اسعفته ذاكرة مطواعة استلته مؤقتاً من بين اكداس الملفات القابعة امامه لتحمله على جناحين خفيفين ينتهيان به الى واد سحيق يقال له الماضي ، « قرية » بيوتها الطينية الحقيرة التي لو جرؤت على الوقوف بوجه الرياح العاتية فما ذلك الا لرحمة من السماء .

وكان له كوخ بين هذه الاكواخ ، او هذه الحظائر البشرية ، ولم يكن له وحده بالطبع اذ كان يومها صغيراً جداً ، في الخامسة او السادسة ، وكان له اخ يكبره باعوام ، ثم هنالك امه ، ولم يكن الكوخ خالياً تماماً ، وهل ينسى تلك الكومة من القش التي كانت تفرشها الام بطريقة فنية كل مساء ، ثم تلقي عليها ما تيسر من الخرق ! فيتوسدونه مشتركين محاولين اقناع نفوسهم بان فراشهم لا تنقصه الليونة .

وكانت في الكوخ اشياء اخرى ، ابريق خزفي لوثته الرطوبة بخضرة زمردية ، و« قفة » معلقة الى السقف تتدنى منهم او يتطاولون اليها كلما طالبتهم معدهم بكسرة .

اجل ، كان ذلك كل ما ترك لهم « ابو عباس » ـ زوجها ووالدهما ـ الذي توفي متأثراً بالزهار ، ذلك الداء اللعين الذي يفتك بالفلاحين جملة اذ يجرعون جراثيمه مع ماء الترعة .

وكانت القرية ـ قريته ـ باكواخها وساكنيها ، بمواشيها ودواجنها ، باراضيها المنبسطة الشاسعة باشجارها وثمارها وغمارها ملكاً لثري تركي الاصل أورثه والده هذه الاقطاعية ، وأورثه مؤهلات السيادة ، مدعمة بغطرسة وانانية تستحلان استعباد البشر وتستمرئان اذلالهم ، وتستنزف دماءهم سماداً للارض فيتنفس فيها الخير خصباً يعمر خزائن « البك » وجيوبه ! !

نعم « البك » هكذا كانوا ينادونه ، عفواً ، اي يهمسون بلقبه وايديهم معقودة الى الصدور ، ورؤوسهم مدلاة ، ومن فيهم كان يجرؤ على ان يرفع «للبك» عيناً ؟ ؟ وكان للبك قصر منيف ، ارتفع في الطرف الثاني من الضيعة ، شامخاً تتكسر على اسواره الخارجية نظرات الفلاحين والاجراء وتخرس تأوهاتهم الوجيعة التي يطلقونها في حسرة كلما لاح لهم واقعهم الهزيل امام هذه الغمرة من الوجاهة ! !

وهو ايضاً يذكر القصر جيداً ، وكيف لا يذكره وقد كان يصطحب امه حين تختلف اليه يومياً لتقوم بعملية اعداد الخبز ، تعبث يداها بالدقيق فاذا هو بعد مزجه بالماء عجينة رخوة ، تبسطها بمهارة على صاج محمى فلا تلبث ان تتحول الى ارغفة كبيرة

موردة كوجنات ابناء البك ! شهية يستطيبها الا تكون من سكان القصر .

وكان هو يقعد بجانب امه يشهد مولد كل رغيف ، حتى اذا ما تكدست امامه بيضاء حمراء تنضح بالاغراء مد اليها يداً ملهوفة ، ولكن زجرة من امه كانت كفيلة برد عاقلته اليه، فيعود الى ايمانه العتيد بان هذا الترف لم يخلق لمعدته الصغيرة ، او لعل معدته لم تخلق له ! !

هذه صور اذا عاودته في فترات ، تراءت له مجلوة من غبار الايام ، وبينها صورة اعمقها انطباعاً في ذاكرته المزدحمة .

كانوا اربعة صغاراً ، يلعبون بجانب الترعة ولا يبالون قط بالوحل يتسمر على اطراف ملابسهم فيزيد مظهرها رثاثة ، وكان هو يحدثهم في الفترات التي يلتمسون فيها الراحة من لهوهم البريء عن ذلك الاستعداد القائم في القصر على قدم وساق بمناسبة زفاف أخي « البك » ، انه عرس ولا كالاعراس . فالمطبخ يزدحم بتلال من الخبز وعشرات الخراف والدجاج المذبوح ، وهنالك ايضاً صحاف القشدة والعسل ، وسيأتي الى القوم اضياف كثيرون ، فيجلسون الى موائد سخية ، يبدأون باللحم والدجاج ، وينتهون بالقشدة والعسل .

ويسترسل الصغير في هذا الاسهاب وقد جحظت عيون الباقين في دهشة ، هل سيأكل الاضياف كل ذلك ، ثم هل ستأكل انت يا أحمد ؟..

ويسكت احمد قليلا وقد احرجه هذا السؤال المفاجيء من رفيقه ، ولكنه استمرأ اثارة الاهتمام بحديثه ولذا له ان يعرف عن موائد البك ما يجهله رفاقه ، فاجاب وهو يلقي على القصر نظرة حالمة .

- اجل ، سآكل لحماً وخبزاً وعسلا ، وقشدة ، وسأشبع كثيراً .!!

ولعله اذ تفوه بجوابه هذا وفي عينيه التماعة لم يحسب حساباً لما توجه به اليه اصدقاؤه الصغار .

- احمد هلا احضرت لنا نصيباً من ذلك كله ؟..

ولم يشأ الصغير ان يتراجع ، فيظهر امامهم بمظهر القصير الذيل وإراد ان يدلل على مدى نفوذه فاستدار نحوهم في عظمة وقال :

- اجل ، فانتظروني هنا .

وما هي الا دقائق حتى كان الصغير يتسلل الى المطبخ فيندس بين الخدم ويقترب من الصحاف المصفوفة ويمر اصابعه الصغيرة الى دجاجة مطبوخة ينتزع من صدرها جانباً من اللحم يطويه في بضعة ارغفة، ثم يخرج من جيبه علبة قذرة من الصفيح عثر عليها في طريقه فيحشوها بالقشدة والعسل ..! ثم يخرج خفياً مسرعاً دون ان يثير انتباه الخدم الذين الفوه واحبوه ، وكاد ينفذ من الباب الخارجي حين سد عليه طريقه جسم « البك » الضخم .

- ماذا تحمل ايها الخنزير ؟

- وتلعثم الصغير وارتعدت فرائصه .

- ! إ .. - أرني ما بيدك .

وترتجف من الطفل اليدان ، وتنفتح اصابعه فتسقط الارغفة بمحتوياتها على الارض ، وكانت شتيمة قذرة تفوه بها البك تلتها لطمة قاسية على الوجه الطري ثم ركلة شرسة القت بالجسم الصغير على بعد أمتار ، فهرعت اليه الام تستطلع الخبر ، فنالها هي الاخرى شرف صفعة على خدها من اليد الكريمة ، وعبارة حفرت حرفاً حرفاً في مسمعها .

- اهكذا تطلقين لصوصك في بيتي ايتها الحشرة ؟.. خذي ولدك واغربي عن وجهي ، ولا تدعيني ارى لك وجهاً بعد اليوم . ولعل في درسي هذا خير رادع لولدك من لصوصية اراها تمكنت من خلقه .

قالها البك وثقل ثقلة كبيرة تطاير رذاذها الى وجهها الذليل . وكان من الطبيعي وقد اضحت الحياة في القرية مع ازدراء سيدها مستحيلة على « ام عباس » ان تسعى الى مدينة (...) تنشد خبزاً لافواه ثلاثة ، ولا يطول بها المقام في المدينة حتى اسعفتها السماء ببيت تخدم اهليه الذين لم يبخلوا عليها بغرفة حقيرة على السطوح تأوى اليها ليلا وولديها . اما النهار فلهم شان آخر معه ، احمد ينطلق الى كتاب قريب يتعلم القرآن على يدي العريف ويدرس الحساب عداً على اصابعه العشر .

اما عباس فقد كان اكبر سناً من ان يثقل على امه ببضعة قروش شهرية يتقاضاها شيخ الكتاب ، وتقتطعها ام عباس من دخلها الضئيل ، فلم يجد لنفسه اوفق من الطواف بعربة استأجرها لقاء اجر يومي وفرش سطحها بالبذنجان والكوسا، والبصل والبقدونس ، ينادي عليها باسماء يتفنن في تنغيمها .

وتدور الايام وتكتظ العربة وتضيق بمعروضاتها وتزداد ارباح عباس من بيع الخضار مما شجعه على استئجار دكان صغيرة رخيصة الايجار ، دشنتها ام عباس بان علقت على بابها حدوة

حصان تجلب السعد وترد عيون الحاسدين ... وعزت اليها فيما بعد الفضل في كل ما صادفه من سعد حين تخلى عن حانوته الصغير ليفتح له محلا جديداً يسمح له بان يضيف الى اسمه لقب تاجر..!

هذا واحمد يقفز في دراسته الابتدائية من نجاح الى نجاح، وابى عليه عباس الا ان يتم دراسته الثانوية فالعالية ولم لا يفعل وقد اغدق الله على عباس ربحاً طيباً فاراح امه من ذل الخدمة فاقامت في بيت استأجروه وصفوا فيه اسرة ومقاعد، وأكسبوه مناعة ضد الحسد بحدوة جديدة علقوها على بابه هو الآخر.!!

وما هي الا سنوات مرت على الاسرة خفيفة الظل حتى انهى احمد دراسته في معهد الحقوق وقد شد يده على الشهادة.

نهض عزت بك من مقعده وقد امضه سكوت المحامي فاقترب خطوة من المكتب وقال: ـ علام قر قرارك يا استاذ؟

وانتبه هـذا اليه ورده الصوت الاجش من جولته الخاطفة في زوايا الماضي وتريث قليلا قبل ان يقول:

ـ لا مانع لدي من تولي الدفاع، على شرط.

ـ هو؟ ـ ان تصحبني في «مشوار» قصير.

وقبل ان يفهم الرجل ما يرمي اليـه المحامي تأبط الاخير ذراعـه وهبط به الدرج الى حيث وقفت سيارة صغيرة فتحها ودفع بالبك الى داخلها وادار محركها فانطلقت تطوي شوارع المدينة حتى انتهت بهما الى ضاحية اوقف المحامي عندها سيارته وقفز منها ورجا الرجل بالنزول ثم تقدم بخطوات ثابتة صوب بوابة حديدية دفعها بيمينه ففتحت فأشار للبك بالدخول.

ـ هذه، هذه.

ـ اي نعم، هذه مقبرة. ـ هل جننت يا رجل.

ـ بل على العكس، فانا بكامل قواي العقلية، ولـكن بي عادة قد تبدو لديك على جانب من الشذوذ، هي انني لا اتولى الدفاع في قضية قبل ان اتوجه الى قبر امي فارطبه بدمعة وأقرأ على روحها الفاتحة.

ـ امك؟

ـ اجل امي، الا تعرفها.؟ لقد نسيتها طبعاً فدعني اذكرك بها، انها ام عباس... امرأة شقية في خدمتكم كما شقي بعلها، وكانت تجهز لـكم خبزكم قبل ان تطردوها لان صغيراً لها تطاول على قدر من طعامكم يحشو به ورفاقه بطونهم الطاوية، فناله من قدمكم ركلة اوشكت ان تفقده الحياة، فنزحت المسكينة الى المدينة لتشقى زماناً، ولـكن القدر لم يشأ ان يمعن في اذلالهـا فبش في وجهها وأفاء على ولديها ظلالا من نعمة واخرجها الى الحياة كريمين، لا صلة لهما باللصوص ولا القتلة ولا ممن يتهالـكون على قذارة الحانات!!.

وانا يا سيدي، احد ولديها..

ماذا الا تذكرها؟.. حسناً دعنا الآن من هذا وستذكرها حتما، والآن قف معي خاشعاً بجوار هذا الضريح، فهنا ترقد «ام عباس» بسكينة وسلام، وترقد معها قصة جهاد مع الحياة شريف.

ووقف احمد وراح يشد بكم الرجل ودلى هـذا رأسه وراحت آيات السورة الـكريمة تخرج من شفتيه حشرجة ثقيلة.!!

سميرة عزام

مكتبة الاديب

كيف نكسب السعادة

تأليف برتراند راسل ـ ترجمة منير البعلبكي ـ ١٢٨ صفحة
دار العلم للملايين ـ بيروت

اسم كتاب جديد ألفه «برتراند رسل» بالانجليزية ، ونقله الى العربية الاستاذ منير البعلبكي ، واختيار الاسم يدل على حسن الاختيار ، أما الموضوع فلا يحتاج ـ بلا شك ـ الى كلام .

فالكتاب يرسم خطة تعليمية يسير فيها المرء ليصل الى سعادته ، وكان من الضروري قبل ان يعرف الانسان الخطة التي ينتهجها في حياته ان يعرف عيوب نفسه وحدها ، وان يعرف عيوبها كوحدة تكون المجتمع وان يعرف عيوب المجتمع المخلوقة فيه ، فاذا عرف ذلك كله ، واتخذ من هذه الاخطاء والعيوب عيوناً تدله على التجارب وتفتح له آماله وتحقق له خياله استطاع ان يصل الى ما يريد .

هذه هي المرحلة الاولى من الكتاب ، وهي نصفه ، ولا بد لمن يطلب السعادة ان يلم بها ، بل عليه ان يجيد معرفتها وان يتخذها من وسائل خطته لتسلم له الطريق وتحسن العاقبة .

اما النصف الثاني من الكتاب فهو محاولة طيبة لتعريف السعادة وتحديد محيطها ، وتفريع غصونها ، وتحول اغراضها مع اختلاف السنين ونظام المجتمع ، وفيه تيسير على الناس الذين يشقون على انفسهم في طلب الآمال ، او يخطئون فيسمون ما يشقيهم سعادة .

والكتاب يتناول هاتين المرحلتين ، وقد تناولها المترجم في اسلوب سهل مبسط يتيح لكل قارىء ان يقرأه ، ويحبب لكل مطلع عليه ان يطبق تجاربه على نفسه ليكون سعيداً ، ومع هذا التسهيل والتيسير ففي الكتاب حقيقة ضخمة لأنه نتيجة تجارب واسعة وإلمام بالفلسفة والاجتماع والعلوم ، وحين يضرب فيه المؤلف المثل يكون لبقاً ذكياً ، اذ يضربه من حوادث الناس اليومية ، وينفذ ببصيرته الى صميمها .

ويروعك من هذا الكتاب الصغير الحجم وفرة الاتجاهات وازدحام المعلومات وتداخلها وتعاقبها بشكل يجعلك تحس حتماً انك لا تقرأ لكاتب عربي ، ويزيدك ايماناً بعمق العلم وارتقاء الحضارة التي ينضح عنها الكاتب « برتراند رسل » .

وقد لفت نظري الى قوة ادراك الكاتب واتساع افقه ما جعله من الفروق بين الجنسية في السعي وراء السعادة ، وفي القدرة على تحصيلها ، وما بينه من نتيجة هذه الفروق في اعصاب كل من الجنسين .

ولفت نظري ايضاً انه اعطى لكل انسان مفتاح سعادته بيده ليفتح به وحده بابه المغلق .

واني لمعجب حقاً لقدرة الاستاذ البعلبكي على نقل هذه الافكار العالية الفنية في اسلوب لطيف رشيق يحرره في دقة وضبط فيؤدي به معاني المؤلف أحسن الاداء . وانا إذ اتمنى لهذا الكتاب الرواج فانما اتمناه من اجل القراء ليتمتعوا به ويستفيدوا بما فيه .

عبد العزيز سيد الأهل

مذكرات جريح

بولس سلامه ـ ١٧٣ صفحة ـ منشورات مجلة الورود ـ بيروت

الاستاذ بولس سلامة مريض بمرض مزمن الزمه الفراش منذ بضع سنين . ولكن مرضه لم يجر عليه البؤس ، بل حوله من الجمود الى الحركة ، وكان له دافعاً من دوافع الابداع والخلق ، فانطلق ينشد ويروي ويؤلف وجعل من بيته «صالوناً» للادباء حتى لتشعر عندما تكون فيه انك في قلب المحيط الادبي تجاري التفكير العالمي في كل مجرى من مجاريه ..

كان آخر مؤلفاته كتابه « مذكرات جريح » تقرأ في هذا الكتاب قصة ألم بولس وحوادث مرضه فتشعر ان قلمه مارج من نار يغمسه في قلبه فتسمع له نشيشاً . وتتابع القراءة فتطالعك صفحات مضطربة سلخها من جوارحه من صميم وجوده من سورة لحمه ودمه وقلق نفسه !

اربع عشرة «عملية» اجراها هذا الصابر او اكثر فقد فيها ماله وخسر شبابه وذاق مختلف انواع العذاب وحرم التمتع بالحياة والخروج الى النور ومع ذلك تجلس لتقرأه فلا تشعر بتبرم ، تتحسر على آه واحدة في سياق مذكراته فلا تجد ،

تجد ايماناً بالله مشرقاً وتقديساً للالم عظيماً . انه صبر عجيب يداوي فيه بولس سلامة جراحه صبر بولس لا صبر ايوب !

صحيح ان كل ما تقرأه عنده موسوم بميسم الالم ولكنه على غير طريقة ارميا - كما يقول - فلا نواح ولا ندبة ولكنه القلب الانساني متفلت من قيود البصيرة . وكلامه ليس يدور على رجل تألم فقط بل على رجل يحب ان ينتفع الناس بآلامه متطلعين معه الى دنيا الحق .

ابتعد كثيراً في مذكراته عن خيال « المتفرجين » الذين يلونون الامور بالالوان العابرة في مخيلاتهم الجامحة ويقومون القيم مكتفين بالعقل البارد المتوكيء على المنطق الجامد .

ولم يقتصر في ما كتب على الرصف والبيان المجرد بل أثار الحوادث بقبس فلسفي فادار نخبه على الخاص والعام والفردية والاطلاق وكان الاخلاص دليله فتجرد من كل شيء الا من حقيقته العارية كل ذلك في اسلوب سائغ بليغ بمتناول جميع القراء تتخلله دعابة مرحة تلازم الجريح حتى في مواجهة الموت فتلطف جو المأساة وتخلع عليها بعض الوان المهزلة فيخرج القاريء منه وفي نفسه عبرة لمعتبر وعزاء لاسوان وتطلع الى مشاكل الحياة ومعانيها .

احمد ابو سعد

ظهر حديثاً :

● ذكرى الرصافي - جمعية عبد الحميد الرشودي - ٢٤٤ صفحة - منشورات مكتبة الزوراء ببغداد . وهو كتاب ادبي يحتوي على احسن ما قيل في الرصافي من جيد المنثور والمنظوم مع مجموعة من شعره الذي لم ينشر في ديوانه وطائفة من آرائه في السياسة والاجتماع

● التفكير الحر في سبيل الانسانية والروحانية - ١٤٠ صفحة - للاب واصاف كرم اللبناني بيروت مجموعة مقالات منوعه في الفلسفة والدين والاجتماع

● نفثات القلم - لمحمد البريفكاني - ٧٠ صفحة - مطبعة المعارف بغداد . مجموعة مقالات وجاء في المقدمة قول المؤلف :

لا ادري كيف يستطيع قلمي ان يقدم هذه النفثات وقد حطمته الاوضاع ... منذ زمن فاصبح مشلولا لا يستطيع حراكا ، لقد سلب الدهر مني كل ما املك غير هذا القلم . لقد انفقت كل ما تملكه يميني على صحيفتي « الجبل » التي الغت الحكومة امتيازها فاضطررت لتقديم هذه الزفرات الصادرة من قلب مكلوم الى القراء الكرام . »

● في ضمير الزمن - شعر - ليوسف عز الدين - ٦٤ صفحة قطع صغير ورق فاخر - دار الطباعة والنشر بالاسكندرية - يقول الشاعر في مقدمته : لا ادري لم يكتب مقدمة للشعر ، وظني ان الشعر يجب ان يفصح عن معانيه ، واغراضه ، وعن الخواطر التي تجول فيه ، والا فهو ليس بالشعر .

والشعر عقل وعاطفة ، فقد خلقنا مزودين بالتفكير الذي يجب ان يرفعنا الى مستوى عال عن الحيوان ، وخاصة اذ زود هذا العقل بالثقافة ، ومرن تمريناً صحيحاً ، واستوعب ما مر به من علم ومن تجربة . »

● ضون انخل كنالث بلنثيا - لنيابة التربية والثقافة في تطوان - ١٠٠ صفحة منها ٥٣ بالاسبانية - منشورات مولاي الحسن بتطوان ، والكتاب مجموعة من محاضرات القيت في حفلة التأبين التي اقيمت للفقيد بلنثيا » . وهو كما قال عنه « الضون ماريا نوارياس بلاو » المدير الملحق لمعهد مولاي الحسن .

« عالم بحاث من ابرز ما يعرف به في ميدان الادب والبحث تأليفه « تاريخ الادب الاسباني » الذي طبع للمرة السادسة و « تاريخ الادب الاندلسي » الذي طبع مرتين و « تاريخ اسبانيا المسلمة » الذي طبع اربع مرات و « الخلافة الغربية » كما قام بطبع مصنفات عديدة مع نقدها ودراستها والتعليق عليها ووضع الفهارس لها . الخ ...

كل هذا الانتاج الذي خلفه غنثالث بالنثيا يرتبط بصلة متينة بمظهر آخر من مظاهر شخصيته البارزة ، ذلك هو المستشرق ، فقد وصل شغفه بالثقافة العربية الى حد جعله يختار للالقاء في حفلة دخوله المجمع التاريخي ، موضوعاً عربياً صميماً الا وهو « اثر الحضارة العربية » .

● عبد العزيز الملزوزي - لعبد الله جنون - الكتاب التاسع من سلسلة « ذكريات مشاهير رجال المغرب » ٣٧ صفحة - منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان .

وقد تولى العالم الاستاذ عبدالله جنون في هذا الكتاب عن عبد العزيز الملزوزي التعريف باسمه ونسبه وبماذا عرف ، وتحدث عن مكانته في الدولة المرينيه وعن عصره ، ولماذا اختير لمنصب شاعر الدولة ، ثم بينه و بين ولي العهد وامداحه للمنصور المريني ومناسباتها ، وملحمته الكبرى وارجوزته التاريخية

جولة الأديب في شهر

جميل المعلوف

☆

ولد جميل في زحلة ١٥ شباط «فبراير» سنة ١٨٧٩ وتوفي «بالمستشفى» في ٣٠ كانون الاول «ديسمبر» ١٩٥١ درس علومه الابتدائية في المدرسة الاسقفية في زحلة ثم في مدرسة صليما للآباء الكبوشيين ثم في مدرسة الحكمة في بيروت وانتقل منها الى المدرسة السلطانية في بيروت حيث تعلم اللغة التركية ونال شهادة المكتب الرشدي وكان في النية ان يتلقى علومه الكاملة في الاستانة الا ان عمه يوسف بك نعمان المعلوف شيخ الصحافة العربية في نيويورك استعجله ليشاركه في تحرير جريدة الايام التي انشأها هناك سنة ١٧٩٧ فكان ساعده الايمن في تحريرها وكانت اول جريدة سياسية مصورة ذات ثماني صفحات، فالتفت حولها الناشئة العربية هناك امثال اسعد الملكي وجبران خليل جبران وامين الريحاني وشبل دموس وغيرهم وقد اعتمدا لها المراسلين الخبراء في جهات كثيرة خصوصاً في استنبول فكانت تنشر كل ما يحدث في الاستانة بانتقاد مر داعية الى اصلاح الحكومة باصلاح عمالها وكان جميل من مؤسسي الحلقة الافغانية وخطيبها في نيويورك وقد قرظه الشاعر جورج جبور بقوله :

وما نبغي سوى قول جميل	اذ قام الجميل بنا خطيبا
يبث فصاحة فيزيل هما	ويسلب في بلاغته القلوبا

ومن مطبعة جريدة الايام صدرت عدة مطبوعات حرة منها كتاب «خزانة الايام في تراجم العظام» مدبج برسوم مشاهير الرجال الشرقيين والغربيين الاحرار وتراجمهم وقد ساعد بجمع بعضها العلامة المؤرخ الاستاذ عيسى اسكندر معلوف. وكتاب «اسرار يلدز» او العقد الثمين في تاريخ اربعة سلاطين. وفيه كيفية نفي ومقتل مدحت باشا واسرار السياسة الحميدية، ومعيشة الحرم البيتية واخلاق السلطان الخ، يقع في ٣٠٠ صفحة اشتغله جميل لبراعته في اللغة التركية. وغير ذلك كثير من المطبوعات التي سنذكرها في مؤلفاته. ولما عطلت الايام بعد جهاد عشر سنين، سافر الى سانبولو- البرازيل حيث كان اخواه قيصر وجورج يتعاطيان التجارة فانضم اليهما وذلك سنة ١٩٠٨. ثم سافر الى باريس للاتجار فيها فتعرف على كثيرين من علماء الافرنج والمستشرقين واجتمع بوفود العرب الناقمين على الدولة العثمانية وعمالها الظالمين فعقدوا مؤتمرهم الشهير الذي طالبوا فيه باللامركزية وحملوا حملاتهم القاسية على عبد الحميد واعوانه وفي سنة ١٩٠٩ عاد الى لبنان بطريق الاستانة حيث حضر فيها حوادث ١٣ نيسان «ابريل» وخلع السلطان عبد الحميد. وفي لبنان اكمل جهاده مع اخوانه الاحرار في نشر المقالات الاصلاحية وانتقاد المظالم التركية الى ان اعلنت الحرب الكونية الاولى فجاء البلاد السفاك جمال باشا الطاغية المشهور فحكم بواسطة ديوان الحرب العرفي على مشاهير الاحرار بالاعدام ومنهم جميل، وقد نصبت المشانق في مدن سوريا ولبنان وعلقت ضحايا الظلم عليها، قافلة بعد قافلة وكلهم من رجال الوطنية واعاظم اهل البلاد. وقد حجب اهل جميل جميلا ضناً بجيده على حبل المشنقة الا ان حادثاً لم يكن بالحسبان فضح امره وكشف ستره وهو: ان ثلاثة من الضباط الاتراك مروا في قرية المريجات حيث كان منزله، وكانت السماء مثلجة، فسألوا احدى العجائز باللغة التركية عن نزل يأوون اليه اتقاء العاصفة ولما كانت لا تفهم اللغة التركية اهدتهم الى بيت جميل، وهي تجهل امره، بحجة انه يتكلم التركية فيتفاهمون معه. فظن الضباط انها اهدتهم الى نزل عمومي فهجموا على البيت فجأة بفظاعة ولما فتح لهم دخلوه بدون استئذان فراعه فعلهم وقابلهم بالقوة والقسوة والاهانة. فلم يعد من سبيل الى كتمان امره فادعى ذووه له المرض وسلموه الى المستشفى الذي قضى فيه بقية حياته

مؤلفات الجميل

اما مؤلفاته في السياسة والادب فهي كثيرة جداً وقد احرق منها القسم الاكبر في الحرب واخفي القسم الثاني عند صهره عيسى اسكندر المعلوف وديعة ومنها: مجموعة مقالات عنوانها «كيف تثور الامم» وكراس «نديم السلطان»

ارجوكم ان تأخذوا علما بذلك، آملا مراجعتي في كل ما يهمكم بشأن هذه الوكالات في مكتبي الكائن في بناية العسيلي الجديدة محلة السور، هاتف ٨٧/٥٠ اوصندوق البريد ١٥٦٤ بيروت.

وتفضلوا مع شكري الجزيل بقبول فائق احترامي المدير:

يوسف حنا عقل

مطبوعة . ورواية « عقلية آغا » و « قانون الصحافة » مترجما عن التركية سنة ١٩٠٨ . ولائحة « كمال اسماعيل بك » ١٨٩٩ وحكاية ابي الهدى الصيادي سنة ١٨٩٩ وحكم نابوليون بونابرت على حسب ايام شهور السنة. وكتاب ابناء عمنا الاتراك و «الحرية ام المدفع» والدليل الشرقي سنة ١٩١٣ ولم يطبع بسبب الحرب. ومستقبل السوري في اميركا. وتاريخ تركيا الحديثة وفيه لمحة عن السلطان عثمان الى فتح « القسطنطينية » مخطوط . و « دولة المرأة » مخطوط وحكم فؤاد باشا . وتأثير الزهور معرب عن الانكليزية . وتعريب مقالات باكن عن الانكليزية ٥٠ صفحة. والسياسة الاجتماعية لباكون . وتعريب طريق الاستكفاء في ١٥٠ صفحة . وتعريب الشرائع الطبيعية في ١٠٠ صفحة . وحكم الملك استانيسلوس الفرنسي . وبعض اقوال بنيامين فرنكلين . وتعريب العقد الاجتماعي لجان جاك روسو . والتفتيش عن الحقيقة . وترتيب الاحاديث النبوية بحسب المواضيع . واللغة العربية اذا تفرنجت والمسألة اللبنانية رسالة الخ ، مما يؤلف مكتبة كبيرة

ومن اشهر مؤلفاته ، كتابه « تركيا الجديدة وحقوق الانسان» الذي تبناه مصطفى كمال باشا وجرى على تنفيذ مضمونه في انشائه تركيا الجديدة . وفيه بحوث ذات شأن في الشرق ومدنيته واسباب انحطاطه وفي تفرنج الشرقيين . وفصل في القانون الاساسي وغيره في الديانة السياسية. ثم فصل « أبقاء او فناء » وآخر في « حقوق الانسان » الى غير ذلك مدعماً اقواله باقوال الفلاسفة والعلماء السياسيين . وكان بينه وبين جبران خليل جبران وامين الريحاني كتابات مشهورة ومنشورة نستورد بعضها.

شعره

اما شعره فبالرغم عن قلته فقد كان منسقاً مسترسلا سهلا صعب التقليد واكثره فلسفة وحكم منه :

من يجهد الفكر في تقويم منحرف او يتعب النفس في تأديب مجنون
كمن يجرب فعل السيف في حجر او يبتغي القوس من عود بلا لين

وترجمته عن فيكتور هيغو :

ربنا احفظني واحفظ كل من تهواه ذاتي
اخوتي اهلي رفاقي صحبتي حتى عداتي
لا تدعني ان ارى الصيف بلا زهر النبات
او ارى الاقفاص من غير عصافير الفلاة
او قفيراً دون نحل او رعاة دون شاة
لا ولا البيت بلا الاولاد ازهار الحياة

ومن قصيدة في الحرب :

لا تقل هذي بليه انما الحرب سجيه
طبع الناس عليها قبل عهد الجاهليه
ليس للانسان حق لم تصنه المشرفيه
هذه الارض مشاع لذوي الكف القويه
كم مليك في هواها قدم الشعب ضحيه
ليس للافراد حكم جل حكم الاكثريه
كلنا فرد وهذا الفرد كل البشريه
فرضى المحكوم اضحى قوة للحاكميه
فيه الدولة عزت وبه امست قويه
سنة الكون اختلاف وفقته الجاذبيه

وهذه ابيات من قصيدة نظمها في سجنه وقد طلبه ديوان الحرب العرفي ليلا للتحقيق معه ولم يسمح له بارتداء ثيابه فظن انه سائر الى المشنقة وقد سلمها الى احد رفقائه السجناء حتى اذا شنق يسلمها الى اهله . منها :

يا من تجنى واجترم يا من تعدى وانتقم
اعداؤه اهل الجرائد والمطابع والقلم
م يعمرون وانت ما لك غير هدم الملكم
مهلاً فلست بنائل غنما وان اهرقت دم
بيني وبينك مثلما بين الدناءة والشمم
سيسجل التاريخ من منا سيمدح او يذم
ويرى الورى من بعدنا من شاد منا او هدم
شئنا النعيم لكم وما شئتم لنا غير النقم
ان تعدموا اجسامنا فنفوسنا فوق العدم
راس الغشوم وان علا ستدوس علياه القدم
شتان بين المخلصين وبين من خانوا القلم

هذا ما استطعنا اختصاره من ترجمة فقيدنا المحبوب اخذنا جله عن كتاب «الدر الثمين في ترجمة ادباء القرن العشرين» وهو مخطوط لمؤلفه العلامة المؤرخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف صهر الفقيد ببعض تصرف . فرحم الله فقيد الحرية الغالي.

الى شقيق روحي الأبر جميل

هبط الكيان لكي يكون سعيداً فطوى الحياة مجاهداً مجهودا
جاد الوجود به لخدمة موطن أبناؤه عرفوا الحياة عبيدا
قوم بهم نزل الشقاء بخيله وبرجله ، والظلم جاز حدودا
الحر فيهم كالمسيح بعرف من صلبوه لما حاول التجديدا
دستور دولتهم إرادة غاشم جعلوه دون إلههم معبودا
عبد الحميد مليك أعناق الورى ما كان حد طموحه محدودا

ملك قضى أسراً وما ذكروا له فعلا باصلاح البلاد حميدا
فلكم سقى الحيتان في «بسفوره» مهجاً وأشبعهم كلى وكبودا

*

نفر الشهيد وقد رأى في قومه ظلماً يقابله البريء سجودا
فأراد رد الشر عنهم إنما ما كان عنه شرهم مردودا
منهم جواسيس عليهم سيطروا جاسوا البلاد قريبها وبعيدا
ومتى وشى واش بحر جهزوا للحر من غاب المشانق عودا
واذ استحال على المجد نجاحه ولى يجوب العالمين حقودا

*

في ارض «سام» حط ركب جهاده وعلى المظالم أعلن التجنيدا
وكتائب الاحرار شدت ازره ولغارة شعواء شد بنودا
جبران منهم والأمين ويوسف وتكاثروا اعداداً فصار عديدا [١]
تخذوا الصحافة للهجوم سلاحهم والناقمين على الطغام جنودا
حملوا على عبد الحميد وصحبه واستحقروا التهويل والتهديدا
جلوا بميدان الجهاد واوهنوا عزماً لداهية الدهاة شديدا
لكن فتى «الأيام» ضاعف جده ومضى يريد من النجاح مزيدا [٢]
فائتم باريساً وفي نداوتها لاقى من العرب الكرام وفودا
من كل ذي شمم ابت اخلاقه ان يستقر على الهوان قعودا
امثال «حقي» والخليل وصحبهم صيد من الاحرار لاقوا صيدا [٣]
وهناك لموا للاغارة شعثهم وغدا لواء كفاحهم معقودا
ما اغمدوا اقلامهم حتى رأوا عبد الحميد مطارداً مطرودا
احيوا موات الشعب في دستوره واسترجعوا حقاً له مفقودا
اموا على امن مواطنهم وما ظنوا الزمان بهم يكون جحودا
وبها التقوا اقرانهم من كل ذي قلم يقد بشفرتيه قيودا [٤]

*

الحرب في الأكوان ثارت واغتدى باب النجاة أمامهم موصودا
واذا بطاغية الطغاة «جمالها» ذئب يقود الى القضاء اسودا
نصب المشانق في البلاد فحيثما يممت تبصر في الحبالة جيدا
ومن الدواهي ان ترى اسد الشرى جزار قافلة الأشاوس سيدا [٥]
ولذا ضننا بالجميل على الردى وجميل لم يكن الفتى الرعديدا
ماز الممات على الحياة وطالما أدنى الى حبل القضاء وريدا
فتضاربت اميالنا واذا به سئم الحياة فعاشها مفؤودا
واليوم سار الى العلى مستشهداً ومودعاً تلك الليالي السودا
حسب الشهيد بان يموت لمرة وفقيدنا عاش الحياة شهيدا

*

أسفي على خلق الجميل وخلقه وعلى النبوغ مضعضعاً ملحودا
وعلى اللغات السبع ان تمسي بلا جدوى وكان بكلهن مجيدا
أسفي على من هز «يلدز» عندما كانت تهز على الملوك حشودا
فضح النوايا السود من سواسها مع انه عنهم أقام بعيدا
وروى خفايا سرهم حتى لقد خالوه ضمن قصورهم موجودا [٦]
قد كان دستور السياسة عندهم: فرق تسد وابطش تنل مقصودا
أسفي على من انجد الاتراك في البلوى ومات بكيدهم منجودا [٧]
لولاه تركيا الجديدة ما ارتدت برداً من الطراز الانيق جديدا [٨]
اسفي على ذاك الذكاء ولم يغد حاويه، بل للغير كان مفيدا
أسفي اخي وكنت آمل ان ارى لذكاك نجماً في الورى مسعودا
العبقرية في ذويها شعلة جعلت حياة النابغين وقودا

*

اني ارى في الارض افجع مأتم لكن بدار الخلد المح عيدا
فهناك قد لاقى الجميل رفاقه وهناك قد ضم العميد عميدا
وهناك «ميشال» «وفوزي» اقبلا يستقبلان الميت المولودا [٩]
العبقري حياته بمماته فالموت يضمن للنبوغ خلودا
نم في جنان الخلد مرتاحاً كفى ما قد بذلت على الجهاد جهودا

قيصر المعلوف

---

١ اشارة الى ان المرحومين جبران خليل جبران، وامين الريحاني كانا من رفقاء جهاد جميل، ويوسف نعمان المعلوف هو عم الفقيد صاحب جريدة الايام حينذاك كما انه لم يزل شيخ المصلحين.

٢ المراد بفتى «الايام» جميل الذي كان الساعد الايمن لعمه المذكور

٣ حقي والخليل وصحبهم م: حقي العظم وعبد الكريم الخليل وندرة مطران وشارل دباس ورشدي الشمعه وغيرهم ممن الفوا مؤتمر باريس اللامركزية

٤ يراد باقرانهم الشهداء الذين اعدموا من الاحرار الذين كانوا مقيمين في الوطن امثال سعيد عقل وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وبترو بولي ويوسف الهاني وخالد حيدر الخ

٥ السيد: الذئب. ٦ اشارة الى كتابه المشهور «اسرار يلدز» الذي فضح فيه اسرار السراي المذكورة ومن فيها.

٧ المنجود، هو المكروب المغموم الهالك.

٨ تركيا الجديدة هي تركيا الحالية وقد اتبع مصلحها مصطفى كمال باشا اراء ونصائح جميل التي اوردها في كتابه «تركيا الفتاة»

٩ ميشال هو شقيق الناظم والفقيد مؤسس العصبة الاندلسية في سان باولو البرازيل ومنشىء مجلتها الشهيرة وصاحب الايادي البيضاء على الادب والادباء. اما فوزي فهو ابن عمهما العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف وهو شاعر الطيارة على بساط الريح.

رسائل جبران خليل جبران الى جميل معلوف

من تلك المراسلات التي نشرتها مجلة العصبة الاندلسية ثلاث رسائل من جبران لجميل* ننشر منها فيما يلي الرسالة الاولى:

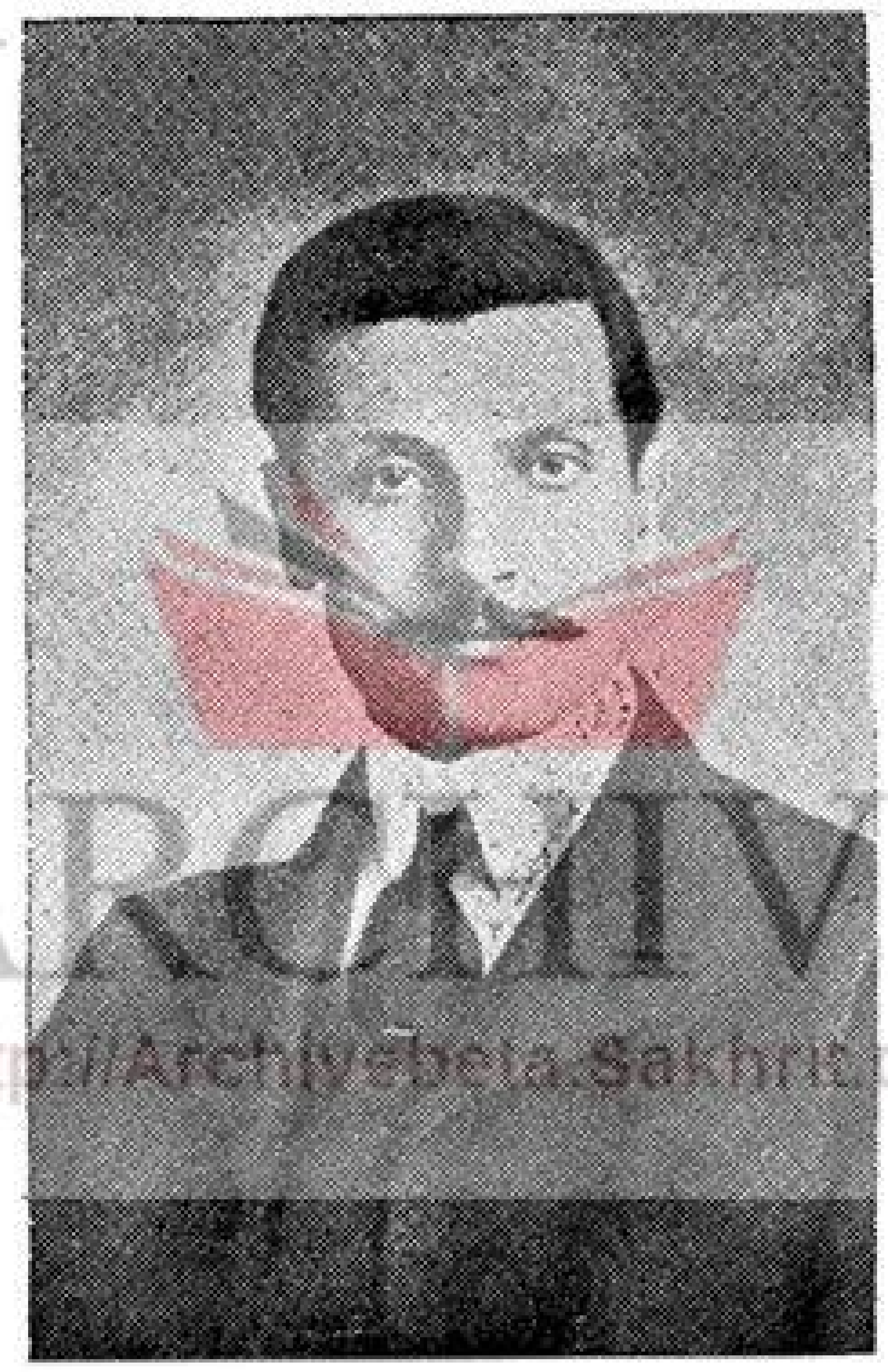
اخي جميل عندما اقرأ رسائلك اشعر بوجود روح سحرية تدب في جوانب هذه الغرفة . روح مفرحة محزنة تفصل بتموجاتها ذاتي فاراك ذا اقنومين متباينين. اقنوم يرف فوق البشر، باجنحة عظيمة تشابه اجنحة الساروفيم التي رآها يوحنا واقفة امام العرش بجانب المنائر السبع . واقنوم مقيد بسلاسل قوية بين الصخور الهائلة مثل «بروميس» الذي أنزل شعلة النار الاولى للبشر من السماء فغضبت عليه الآلهة واوثقوا جثمانه بصخرة على شاطىء البحر . اقنوم يفرح قلبي ويغبط نفسي لانه يتموج مع اشعة الشمس ونسيمات الفجر . واقنوم يوجع عواطفي ويضغط على قلبي واضلعي لانه اسير صروف الليالي .

كنت ولن تزال قادراً على استحضار شعلات النار من السماء وتسليمها الى البشر لتنيرهم ولكن اية شريعة بل اية قوة وضعتك في «سانبولو» وقيدت جثمانك بين الذين ماتوا منذ القديم ولم يدفنوا بعد ؟ هل لآلهة اليونان قوة في هذه الاجيال ؟

لقد سمعت بان في نيتك الرجوع الى باريس لتسكن فيها وانا ايضاً اريد ان اذهب اليها حتى نلتقي في مدينة الفنون؟ هل نلتقي في قلب العالم ونسكن معاً ونذهب ليلا الى الاوبرا في الملعب الفرنساوي ثم نعود لنتحدث عن روايات راسين وكورنيل وموليير وهوكو ؟ انلتقي هناك ونسير ببطء الى حيث كان الباستيل ثم نعود الى البيت شاعرين بملامس روح روسو وموليير ونكتب : ونكتب . ونكتب عن الحرية والاستبداد لنكون من المساعدين على هدم الباستيل القائم في كل بلدة في الشرق . او نذهب الى اللوفر ونقف امام رسوم رافائيل ودافنسي وكارو .

ثم نعود الى البيت ونكتب .. ونكتب ... ونكتب عن الحب والجمال وتأثيرهما في خلايا القلب البشري ؟ . آه يا اخي جميل انني اشعر بمجاعة عميقة الى الاقتراب من الاعمال الطبيعية الهائلة. وبشوق مميت الى الاقوال الكبيرة الخالدة ، واشعر بان هذه المجاعة وهذا الشوق نتيجة قوة كائنة في اعماقي . قوة تريد اعلان ذاتها بسرعة فلا تقدر . لأن الوقت لم يجيء بعد - لأن الناس الذين ماتوا عند ولادتهم يقفون حجر عثرة في سبيل الاحياء.

صحتي كما تعهدها فهي مثل قيثارة في يد من لا يحسن الضرب عليها فتسمعه انغاماً لا ترضيه . عواطفي كالبحر ذات مد وجزر. نفسي كالشحرور المكسور الجناح المختبىء بين الاغصان يتألم اذ يرى اترابه الطيور مزقزقة لأنه لا يقدر ان يجاريها . ولكنه كالطيور يفرح بسكينة الليل ومجيء الفجر وشعاع الشمس وجمال الوادي. اصور آونة واكتب اخرى فانا بين التصوير والكتابة مثل سفينة صغيرة بين بحر لا نهاية لاعماقه وسماء لازرقائها.



الفقيد جميل معلوف

- احلام غريبة واماني سامية وآمال كبيرة وافكار متصلة متقطعة . وبين هذه الاحلام وهذه الاماني . وهذه الآمال. وهذه الافكار شيء يدعونه قنوطاً وانا اسميه جحيما

بالأمس بعثت اليك بنسخة من كتيب يدعى عرائس المروج مؤلف من ثلاث حكايات صغيرة الحكاية الاولى رماد الاجيال والنار الخالدة هي من نتيجة احاديثنا عن النصف الحقيقي وقد كتبتها عندما كانت نفسك الجميلة تلامس عواطفي باطراف وشاحها وصدى صوتك يتموج في مسامعي - والحكاية الثانية مرتا البانية . هي دمعة محرقة اثارتها اوجاع الامرأة الساقطة التي تتبع الرجل قبل ان تشعر نفسها باهتزازات الحب الالهي التي تحدثها ملاقاة النصف الحقيقي - اما الحكاية الثالثة يوحنا المجنون فهي كلمة من رواية محزنة مستتبة على مسرح الليالي . رواية حية بحياة الخضوع الاعمى والاستبداد المميت . وقد نظرت فرأيت ان السبل التي اتخذها الكتاب فيما مضى لمقاتلة استبداد« ...... » واماتة الخضوع هي هي ذاتها مضرة بمبادىء

* وهي من اوراق فوزي المعلوف شاعر الطيارة التي وقف عليها شقيقه شفيق .

اولئك الكتاب ونافعة لمبادىء اعداء الهيئة . والكتاب كانوا يتخذون احتقار التقاليد الدينية سبيلا لاسقاط « ...... » القائمين بتلك التقاليد وهذا هو الخطأ. لان العاطفة الدينية هي شي طبيعي في الانسان . اما الاستبداد بواسطة التعاليم الدينية فليس من الامور الطبيعية بل هو بعكسها . من اجل ذلك جعلت يوحنا محباً ليسوع مؤمنا بانجيله امينا على تعاليمه

التجاؤك الى التدخين والقهوة يزيد محبتي لها وقد كنت اتوهم الزيادة على تلك المحبة هي من الامور المستحيلة لأني كما تعهدني اعيش على القهوة والسكائر. ها قد تذكرت حكاية صغيرة لا بد من سردها لأنها تتعلق بالقهوة والسكاير فاسمعها :

دعتني بالامس سيدة اميركية الى العشاء وهي شاعرة متفننة جميلة قلباً وقالباً ولها ميل طبيعي الى استدرار محاسن الحياة. وفي نفسها مجاعة الى كل ما هو جميل ولذيذ . جلسنا الى المائدة ولم يكن بيننا ثالث وكنا نأكل ونتحدث كيلا تحرم الآذان ما تتمتع به النواظر والاجواف . حتى اذا ما انتهينا الى اللحوم وتوابعها وبلغنا الحلويات والقهوة اشعلت سيكارة وصرت ارشف فنجاني رشفة وامص ثغر السيكارة مصة وصديقتي تتأملني بلذة فائقة وعلى ملامحها ابتسامة تشبه ابتسامة الحقول لمجيء الربيع ثم الحقت السيكارة بسيكارة اخرى . وملأت فنجاني ثانية لان المحيط والحديث جعلا للتبغ والقهوة نكهة سحرية. وبعد سكينة فيها من الاقوال الخفية ما فيها حولت شاعرتنا عينيها نحو شيء غير منظور في فضاء الغرفة وقالت بهدوء : اتعلم يا جبران بان هذه اول مرة تمنيت فيها ان اكون رجلا – قلت : ولماذا ؟ – قالت : لان الرجال يتمتعون بالحياة بلا خوف ولا وجل . ويصعدون الى قمم اللذات ويهبطون الى اعماقها غير ناظرين الى ما يقال عنهم. اما نحن النساء فنراقب بعضنا بعضاً. وننتقد بقساوة جارحة ما نفعله حسناً كان او قبيحاً

فنظرت اليها مستفهما مستزيداً فقالت: لو كنت رجلا الآن لتمتعت معك يا جبران بلذة التدخين لأن رائحة هذه السكاير التركية وكيفية احراقك لها قد ولد في نفسي شهية عميقة فقمت عن مكاني اذ ذاك وفتحت علبة السكاير ووضعتها امامها على المائدة وقلت : مرمزاً بطريقة معنوية الى اشياء كثيرة، خلقنا الله لنفرح ونتمتع بكل شيء في هذه الحياة على قدر ما ترسم الحكمة الكائنة في في اعماقنا . فاذا ما امتنع الانسان عن استخلاص اللذة في الكائنات كان هو الجاني على نفسه . تعالي ندخن معاً وتتشبه بالايام التي تتخذ لها من اعمارنا سكاير وتدخنها في السكينة فاخذت تمصها بلهفة وتتأمل دخانها المتصاعد كالخيوط الفضية ولكنها ما بلغت آخرها حتى اصفر وجهها قليلا . فاسندت رأسها بمعصمها وبقيت شفتاها مبتسمة فقلت : ماذا اصابك ؟ – فاجابت بهدوء سحري : ان راسي ثقيل قليلا ولكن نفسي مملوءة بالخيالات الشرقية الجميلة

... تركنا المائدة وذهبنا الى المكتبة . وهناك جلست على مقعد بين المساند الناعمه وانا احدثها ... وبعد ساعة مدت يدها الحريرية ولمست زراً كهربائياً بجانبها فجاءت احدى الخادمات فقالت لها اعملي لنا ابريقاً من القهوة القوية يا جوزفين

فذهبت الخادمة وبعد هنيهة عادت بالقهوة. واذ همت بالرجوع اوقفتها شاعرتنا وقالت لها : ان جاء احد ليزورنا ، قولي له: اني متغيبة . ثم صبت من القهوة فنجانين. وقالت مبتسمة : اعطني سيكارة يا جبران فقلت قد يضرك الاكثار بادىء بدء –فاجابت بهذه الكلمات البديعة : ان اللذة الحقيقية في هذه الحياة لا تصل الينا الا عن سبيل الالم

وهكذا يا عزيزي صرفنا تلك الليلة بين السكاير والقهوة والشعر وما جانسه ... وفي اليوم التالي كتبت الي تقول : ابعث الي بهدية من سكايرك . ففعلت مسرعا وقد اهدت الي لقاء ذلك قصيدة جميلة نظمتها في السكاير التركية

اصبح الساعة تومىء الى الثانية بعد نصف الليل . والنوم العميق يتلاعب بارواح البشر والثلج يتساقط بهدوء. وقد البس المدينة حلة بيضاء . وجبران ما برح ساهراً يناجيك وقد دحرت الظلمة والثلوج ابناء آدم الى الاوكار . وامتلكت السكينة انفاس المخلوقات ولم اعد اسمع غير تنهدات الارياح الطويلة المحزنة . ما اجمل الليل . فهو يهب النفوس اجنحة معنوية لتطير وتحلق فوق الغيوم . وما وراء الغيوم

***

هذا نص رسالة جبران خليل جبران لجميل بك المعلوف ولغيره مثل امين الريحاني وبقية اصدقائه رسائل لم تصل اليها ايدي البحث الآن. مع غيرها من المؤلفات والرسائل والمقالات المخطوطة المودعة في خزانتنا بزحلة مما استودعنا اياه لحفظه، مع غيرها من تعاليقنا الكثيرة. فاكتفينا الآن بما رأيناه وبما في كتابنا المخطوط « الدر الثمين في ادباء القرن العشرين » بمجلدين وبما في كتابنا «مغاوص الدرر في ادباء القرن التاسع عشر» في مجلدات مخطوطة بقلمنا مع تراجم المشاهير قبلهم مما نشرنا منه امثلة في الصحف مجلات وجرائد لتعريفهم والله الهادي الى الصواب بمنه وكرمه

عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل

أنباء العالم في شهر

٢١ - فبراير ١٩٥١ - وصل الجنرال ايزنهاور القائد الاعلى للجيوش الاطلسية الى باريس وسيقيم مقر القيادة العامة في فرساي.

٢٢ - قامت القوات الدولية بهجوم في الجبهة الكورية الوسطى على طول ١٠٠ كيلومتر وتقدمت نحو ٢٠ كيلومترا ولم تصادف مقاومة

٢٣ - وصل الجنرال روبرتسون القائد الاعلى للقوات البريطانية في الشرق الاوسط الى انقرة فاجتمع بوزير الدفاع ورئيس اركان الجيش.

٢٤ - ادلى الجنرال كولنز رئيس اركان الجيش الاميركي بتصريح قال فيه: ستكون منشوريا والصين هدفا لغارات الطيران الاميركي الهائلة اذا كان الشيوعيون سيخوضون معارك جوية وبحرية هامة ضد القوات المتحدة في كوريا.

٢٥ - صرح الجنرال عمر برادلي امام لجنة القوات المسلحة البرلمانية بوشنطن بان الحالة العالمية التي دعت الى التجنيد الجزئي يمكن ان يستمر بقاؤها مدة ١٥ الى ٢٠ سنة.

٢٧ - اخترقت القوات المتحدة في كوريا التحصينات الشمالية في الجبهة الوسطى وانسحبت القوات الشمالية الى وراء مدينة هوينسونغ.

٢٨ - استقال المسيو بليفن رئيس الوزارة الفرنسية بعد ان رفض المجلس تعديل قانون الانتخاب كما قدمته الحكومة.

اول مارس ١٩٥١ - وافق الاتحاد السوفياتي على طلب الحكومات الغربية الكبرى بعقد مجلس وكلاء الخارجية في باريس.

٢ - تابعت القوات الدولية في كوريا هجومها في الجبهة الوسطى ودخلت مدينة هوينسونغ.

٣ - تستمر المحادثات في بون بين المندوبين الساميين الغربيين وبين الخبراء الالمان بصدد اشتراك المانيا في الدفاع الغربي. ويتابع الحلفاء الغربيون وضع انظمة الاحتلال الجديدة التي تخفف القيود المفروضة على الالمان.

٤ - اعلن وزير الخارجية التركية فؤاد كوبرولو ان حكومته قد دعت الولايات المتحدة الى الاشتراك بالحلف الدفاعي المعقود بين بريطانيا وتركيا وفرنسا للدفاع المتبادل.

٥ - انعقد في باريس المؤتمر الرباعي لوكلاء وزراء الخارجية. غرضه وضع جدول الاعمال لوزراء خارجية الدول الاربع: الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة بريطانيا وفرنسا.

٦ - سمحت الدول الغربية الثلاث الى حكومة المانيا بان تنشىء وزارة للشؤون الخارجية وترسل ممثلين عنها في عواصم الدول الاخرى ويعتبر هذا اكبر خطوة اتخذت نحو منح المانيا السيادة التامة.

- صرح السيد ستراونس وزير اللوازم البريطاني بان بريطانيا تملك الان التفاصيل الفنية لصنع القنبلة الذرية.

٧ - اطلق شاب النار على الجنرال علي رازمارا رئيس الوزارة الايرانية فقتله، والقاتل من منظمة طائفية متطرفة.

- قامت مظاهرات عديدة في البلاد العربية احتجاجا على حوادث مراكش.

- نفت الحكومة الفرنسية اخبار وقوع اضطرابات في مراكش.

٨ - قبل المسيو هنري كاي نهائيا تأليف الوزارة الفرنسية بعد ان امتنعت الكتل النيابية عن تأييد الذين كلفوا قبله

- تسلمت في طرابلس الغرب الحكومة الجديدة برئاسة السيد محمد المنتصر مهام الحكم من الادارة البريطانية ورفع العلم الطرابلسي على دار الحكومة بدل العلم البريطاني.

٩ - اعلن السيد لياقات علي خان رئيس وزراء الباكستان خبر اكتشاف مؤامرة لاثارة الفتنة والقضاء على ولاء القوات المسلحة وقد اعتقل الجنرال اكبر خان رئيس الاركان وزوجته والقائد عبد اللطيف والاستاذ فائز احمد فائز محرر التايمز الباكستانية واعلن انهم يدينون بسياسة يسارية متطرفة.

- اوصت لجنة البترول البرلمانية في ايران بتأميم بترول جنوبي ايران وقررت تمديد اعمال الشركة الانجلو ايرانية شهرين لدرس طرق التأميم. وكان رئيس الوزراء الجنرال رازمارا الذي قتل يعارض التأميم.

١٠ - استقال الدكتور ناظم القدسي رئيس الوزارة السورية.

- شكل عدنان مندريس الحكومة التركية

- عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اولى جلساتها للنظر في قضية مراكش.

١١ - يعقد في مالطة القادة العسكريون البريطانيون والاميركيون مؤتمراً لدرس الدفاع عن منطقة الشرق الاوسط.

١٢ - تواصل القوات الدولية تقدمها على الجبهة الكورية بالقرب من خط العرض ٣٨.

- وافق مجلس الشيوخ الايراني على تعيين السيد حسين علاء السفير في واشنطن رئيسا للوزارة وفقا لاختيار الشاه.

- الف السيد هنري كوي الوزارة الفرنسية وهي وزارة اشتراكية دخلها تسعة عن حزب الجنرال ديغول.

١٤ - استردت القوات الدولية ساوول عاصمة كوريا الجنوبية.

١٥ - وافق المجلس الايراني بالاجماع على مبدأ تأميم صناعة البترول في ايران.

١٦ - اشتدت مقاومة القوات الشمالية الكورية في الجبهة الوسطى.

- صدر بلاغ في لندن يقول بان المحادثات التي جرت فيها بين رؤساء وزراء بريطانيا وايطاليا في ١٣ و١٤ مارس بصورة غير رسمية قد انتهت الى توحيد وجهات النظر حول القضايا ذات المصلحة المشتركة.

١٧ - ارسلت بريطانيا مذكرة الى ايران تحتج فيها على تأميم البترول ونقض اتفاقية الشركة الانجلو ايرانية.

١٩ - اعلنت وزارة الحرب البريطانية ان لدى الاتحاد السوفياتي والصين ٤ ملايين من الجنود تحت السلاح.

- اطلق نصر الله كومي احد طلبة الحقوق في طهران النار على الدكتور عبد الحميد زنكه وزير المعارف السابق في وزارة الجنرال رازمارا

- الف السيد حسين علاء الوزارة الايرانية

٢٠ - ليس ما يدل على نجاح مؤتمر وكلاء وزراء الخارجية الاربعة الكبار المعقود في باريس فالاتحاد السوفياتي يطلب درس قضية نزع سلاح المانيا في رأس جدول الاعمال والجانب الآخر يصر على ان تكون اسباب التوتر الدولي هي الموضوع الاول.

٢١ - اعلنت الاحكام العرفية في ايران.

دار الطباعة والنشر اللبنانية - بيروت
تليفون ٩٨/ ٣٥